

من وحي الأسماء وجلال الصفات

لله الأسماء الحسنى : لا لغيره .

قاله - لغة قلب ، ولغة عقل ، ولغة نفس ، ولغة حركة .

لغة قلب بالتوحيد

ولغة عقل بالتذكير

ولغة نفس بالرضى

ولغة حركة بالعمل وفي الحركة بركة

وأسماء الله الحسنى :

فيها مع العقيدة توحيد بحبه ، ونشيد يقين ، ويقين بصفاء

فيها العبادة بالذكر الدائم . وكلما كان الذكر دائماً كان الفيض

محققاً بعطاء المدد

يقول الحق سبحانه :

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدادًا لَكَلِمَاتُ رَبِّي لَنفَدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ

كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مِدادًا ﴾ (٦٠٩) [الكهف]

كما يقول الحق جل علاه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ (٤١) وسبحوه

بِكُورَةٍ وَأَصِيلًا ﴾ (٤٢) [الأحزاب]

وهنا يطلب الحق الذكر بغير عدد ، لأن نعمه بغير عدد .

فقد قدر ذكر الله لك منه العطاء والفيض الذي لا يُحصى .

اقرأ قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى

النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣ ﴾ [الأحزاب]

فيذكره - يخرج الإنسان من ظلام غاب فجبره إلى ليل ابتسم

على نهار يستقبل ضحاها ، وتجلي مع العقل مرآه ، وهنا نعيش في

عصر التوحيد تفريداً .

يقول الحق :

﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ ۝١٦٣ ﴾ [الأنعام]

وبهذا نكون قد تحكمتنا في العصر بقيم الله قبل أن تتحكم الحياة

فينا .

من هذا المنطلق عشنا خواطر الشيخ الإمام الشعراوي في

مصباحته لأسماء الله الحسنى .

فوجدنا فيها راحة للقلب

وراحة للروح

واستراحة للنفس

يقول الحق :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (٣٠)

[فصلت]

ودليل الإحساس بالله منطلق الفطرة في عالم القهر ، وعالم الأمر ، وعالم الاختيار .

فالعالم المقهور بوحده .

والعالم المأمور بسبحه .

والعالم المختار بذكره .

يقول الحق :

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢١) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

(٢٤)

[الحشر]

ولما كان القلب لا يستقر إلا بالله ، وينور أسمائه الحسنى صفاتاً ، قلنا مع التوحيد لقاء ، ومع العبادة صفاء ، ومن خلال الأسماء الحسنى

جمال الأخلاق ، لهذا تقدم أسماء الله الحسنى بفيض الإمام وخواطره عندما يكون في حالة البسط مع الله ، حتى نحس نغم التشيد وجمال القصد خير مقصود ، نقدمها في شيء من الكمال مستمدين من الله عطاء الجمال ، حتى نتخلق بأخلاق الله من قيم صفاته وجلال ذاته على أن يكون هذا مستمر العطاء ، فقد يخرج الكتاب في أجزاء لا تحددها بعدد .

لأن مدد الله لا تنفذ عطاياه .

وبين أيدينا الجزء الأول من أسماء الله الحسنى يليه أجزاء بقدر الفتوحات التي منحها الله لإمام العصر الداعي للحق بالحق .
بارك الله في عمره ، ليكون مدداً للأجيال الواقعة التي تنتظر المعارف من شيخنا العارف بالله .

في ظلال هذه الآيات ومع إشراقاتها نعيش مع الأسماء الحسنى والصفات العليا ، فهم طريق الوصول إلى الله ، مصداقاً لقول الله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ۖ .. (١٨٠) ﴾ [الأعراف]

فإن حب العبد للذات الله يجعله يعيش في عطاء صفاته ، فمن أحب الذات وحبت له ثقتها الصفات .

وهذه الأسماء الحسنى هي الكمال كله ، والجلال كله ، بها الذكر ، وفي ذكرها عطاء للفكر ، يقول الله تعالى :

﴿ فَادْكُرُونِي أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون (١٥٦) ﴾ [البقرة]

ويقول سبحانه :

﴿ .. واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي والإيكار (٤١) ﴾ [آل عمران]

وقال أيضاً جل وعلا :

﴿ إِنْ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ .. (٤٠) ﴾

[العنكبوت]

هذه نصوص من القرآن الكريم تبين لنا كمال الذات وجلال الصفات النحيا في جلال الإيمان السخي والإخلاص النقي ، فقد ورد عن أبي هريرة - رضى الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « إِنْ لَمْ تَعْلَمْ تَسْعَةً وَتَسْعِينَ اسْمًا ، مِائَةً غَيْرَ وَاحِدٍ ، مِنْ أَحْصَانِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ » .

ولقد أمرنا الحق جلَّ علاه أن نؤمن بها ذاتاً وصفات ، وأن نعبدَه طاعة واحتساباً لمعاصيه ، فهو العالم بالسِرِّ وأخفى ، وفى أسمائه أسرار ، وفى صفاته مدد ، يكشفه الله لمن تعامل مع صفاته وأسمائه .

فمن عدله ورحمته أن أمرنا بما نستطيع ، وإن كنا لم نره ، ولكن بالإدراك فى خلقه ، والانفعال بقدرته يجعلنا نتيقن وجوده ، فتوحده وتفرده وتتجرد له ، وفى آياته الكونية والنفسية ما يدل دلالة على عطاء الصفات فى حركة النظام الكونى وحركة الحياة نحو الحياة .

وإن كنا لم نره جهرة فإنه قد كشف لنا عن صفاته من خلال أسمائه الحسنى حتى تكون العبادة بحب وشعور بفضل .

فهم : أحصى الأسماء الحسنى مع إدراك معانيها ، والتخلق بأخلاقها تجعل الإنسان المؤمن يعيش فى الدنيا برضاه ، وفى الآخرة الجنة مثواه ، وهذه هى الأسماء الحسنى :

الله : هو الاسم الدال على الذات الجامعة لصفات الألوهية .
الرحمن : واسع الرحمة فى خلقه ، مؤمنهم وكافرهم ، فى معاشهم ومعادهم .

الرحيم : المعطى من الثواب أضعاف العمل .

المليك : المتصرف فى ملكه كما يشاء .

القدوس : المنزه عن كل وصف يدركه حس أو خيال .

السلام : السالم من العيوب والنقائص ، الناشر بسلامته على خلقه .

المؤمن : المصدق نفسه وكتبه ورأسه فيما يقولونه عنه .

- المهيمن : الميطر على كل شيء بكمال قدرته .
العزیز : الغالب الذي لا نظير له .
الجبار : المنفذ مشيئته على سبيل الإجبار والجبر .
المتكبر : المتفرد بصفات العظمة والكبرياء ، المتكبر عن النقص والحاجة .
الخالق : المبدع لخلقه بإرادته .
البارئ : المميز لخلقه بالصور المختلفة .
المصور : الذي أعطى لكل خلق صورة خاصة .
الغفار : الذي يستر القبيح في الدنيا ويتجاوز عنه في الآخرة .
القهار : الذي يقهر الجبابرة .
الرحمن - الرحيم - الرحيم : الرحيم بالعباد .
الرزاق : خالق الأرزاق ، والمتكفل بإيصالها إلى خلقه .
الفتاح : الذي يفتح خزائن رحمته لعباده .
العليم : المحيط علمه بكل شيء .
القابض : قابض يده عمّن يشاء من عباده حسب إرادته .
الباسط : يأسراره على من يشاء .
الخافض : الذي يخفض الكفار والأشقياء .
الرافع : الالافدار بين أولياء الرجال .
المعز : للمؤمنين بطاعته .
المذل : للكافرين بَعْضِائهم .
السميع : الذي لا يغيب عنه مسموع .

- البصير : الذى يشاهد جميع الموجودات .
الحكم : الذى الله ترجع الأمور والأحكام .
العدل : الذى ليس فى ملكه خلل .
اللطيف : البر بعباده .
الخبير : العالم بكل شىء ، ظاهر وباطن .
الحليم : الذى لا يعجل بالانتقام .
العظيم : الذى لا تصل العقول إلى كنه ذاته .
الغفور : غافر الذنب وقابل التوب .
الشكور : المنعم على عباده بالثواب .
العلى : الذى علا بذاته وصفاته عن مدارج الخلق .
الكبير : المنزه عن الأوهام .
الحفيظ : حافظ الكون من الخلل .
المقيت : خالق الأقوات ومُقسِّمها .
الحسيب : الذى يكفى عباده حاجتهم .
الجليل : عظيم القدر بجلاله وكماله .
الكريم : عطاؤه لا ينفد .
الرقيب : الملاحظ لما يرعاه .
المجيب : الذى يجيب الداعى إذا دعاه .
الواسع : الذى وسع كرسيه السموات والأرض .
الحكيم : المنزه عن فعل مما لا ينبغي بجلاله وكماله .

- الودود : المتحبيب إلى خلقه .
 المجيد : الشريف في ذاته وأفعاله ، الجزيل عطاؤه ونواله .
 الباعث : باعث الموتي للحساب .
 الشهيد : العالم بالأمور الظاهرة والباطنة .
 الحق : خالق كل شيء بحكمة .
 الوكيل : الموكل إليه الأمور والمصالح .
 القوي : الذي لا يعجزه شيء .
 المتين : الذي لا يغلب .
 الولي : المحب لأوليائه ، الناصر لهم ، والموالي لهم .
 الحميد : المستحق للحمد والثناء .
 المحصي : الذي لا يفوته دقيق الأمور ، ولا يعجزه دليلها .
 المبدئ : الذي بدأ الخلق ، وأوجده من العدم .
 المعيد : الذي يعيد الخلق إلى الموت .
 المحيي : الذي يحيي العظام وهي رميم .
 المعيت : الذي يبيت الأجسام بنزع الأرواح منها .
 الحي : المتصف بالحياة الأبدية .
 القيوم : القائم على كل شيء .
 الواجد : الذي يجد كل ما يطلبه ويريد .
 الماجد : كبير الإحسان والأفضال .
 الواحد : المنفرد ذاتاً ووصفاً وأفعالا .

الصمد : المقصود بالخوائج .
 القادر : المتفرد باختراع الموجودات .
 المقتدر : الذي يقدر على ما يشاء .
 المقدم : مقدم الأنبياء والأولياء ومن يشاء .
 المؤخر : مؤخر الأعداء بالإبعاد .
 الأول : السائق للأشياء .
 الآخر : الباقي بعد فناء خلقه .
 الظاهر : بآياته وعلامات قدرته .
 الباطن : المحتجب عن الأنظار ، المطلع على الأسرار .
 الوالي : المالك للأشياء ، والمتصرف فيها كيف يشاء ، والمنعم
 بالعطاء ، والدافع للبلاء .
 المتعال : رفيع الدرجات ذو العرش ، المرتفع في كبريائه وعظمته .
 الجبر : الذي يمتن على السائلين بحسن العطاء .
 الثواب : يقبل الثوبة من عباده ، ويعفو عن السيئات .
 المنتقم : الذي نحس نقمته لقدرته وعظمته ، وهو الذي نرجو منه
 الرحمة خوفاً وطمعاً .
 العفو : الذي يمحو الذنوب ويتجاوز عن السيئات .
 الرؤوف : شديد الرحمة بعباده .
 مالك الملك : له التصرف المطلق ومالك الملك الذي يفد مشيئته في
 ملكه كيف يشاء وكما يشاء لا مرداً لقضائه ، ولا معقب لحكمه .

ذو الجلال والإكرام : الذي لا جلال ولا كرمال ولا شرف إلا هو له ، فالجلال في ذاته ، والكرامة على خلقه .

المقسط : القائم بالقيسط والمقيم للعدل .

الجامع : الذي جمع الكمالات كلها ذاتاً ووصفاً وفعلاً .

الغنى : الذي لا يحتاج إلى شيء في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله .

المعطي : المنعطي لمن يشاء من عباده .

المانع : الذي يمنع البلاء حفظاً وعناية ، ويمنع العطاء عمن يشاء ابتلاءً أو حماية .

الضار : يصيب من يشاء من عباده ، فهو مالك الضر .

النافع : هو مالك النفع ، وهو على كل شيء قدير .

النور : الذي نور قلوب الصادقين بتوحيده .

الهادي : الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

البدیع : الخالق البدیع في ذاته .

الباقى : الدائم الوجود الموصوف بالبقاء ، بقاء الأبد والأزل .

الوارث : من له ما في السموات وما في الأرض ، رب كل شيء ووارثه ورازقه وراحمه .

الرشيده : المرشد لأهل الطاعة .

الصبور : الذي يُملي ويمهل ، وينظر ولا يعجل ، ولا يعاجل ولا يسارع ، على الفعل قبل أوانه ، وينزل الأمر بقدر معلوم .

أسماء الله الخمسين

عن أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة».

كما جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي أن النبي ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر».

هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن . . الرحيم . . الملك . .
القدوس . . السلام . . المؤمن . . المهيمن . . العزيز . . الجبار . .
المتكبر . . الخالق . . الباري . . المصور . . الغفار . . القهار . .
الزهاب . . الرزاق . . الفتاح . . العليم . . القابض . . الباسط . .
الخالق . . الرافع . . المعز . . المذل . . السميع . . البصير . . الحكم . .
العدل . . الطيب . . الطيب . . الحليم . . العظيم . . الغفور . .
الشكور . . العلي . . الكبير . . الحفيظ . . المقيت . . الحسيب . .
الجليل . . الكريم . . الرقيب . . المجيب . . الواسع . . الحكيم . .
الودود . . المجيد . . الباعث . . الشهيد . . الحق . . الوكيل . .
القوي . . المتين . . الولي . . الحميد . . المحصي . . المبدي . .
المعيد . . المحي . . الميت . . الحي . . القيوم . . الواجد . . الماجد . .
الواحد . . الصمد . . القادر . . المقتدر . . المقدم . . المؤخر . .
الأول . . الآخر . . الظاهر . . الباطن . . الوالي . . المتعال . . البر . .
التواب . . المنتقم . . العفو . . الرؤوف . . مالك الملك . . ذو الجلال
والإكرام . . المظفر . . الجامع . . الغني . . المغيث . . المانع . .
الضار . . النافع . . النور . . الهادي . . البديع . . الباقي . . الوارث . .
الرشيد . . الصبور . .

دَعَاءُ

كَمَا رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ

ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ

وَلَا حُزْنٌ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ

وَابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِيَّ

حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤِكَ . . اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ ،

سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسِيكَ ، أَوْ أُنزَلَتْ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ،

أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رِيعَ

قَلْبِي ، وَتَوَرِّصْ صَدْرِي ، وَجَلِّأْ حَزَنِي ، وَذَهَابْ هَمِّي ، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ

حِزْبَهُ وَهَمَّهُ ، وَأَبْدَلَ مَكَانَهُ طَرَحًا .

كان الله سبحانه وتعالى ولم يكن معه شيء ، ثم خلق الخلق وأطلق على كل مخلوق اسماً يدل عليه . . بحيث إذا أطلق الاسم تبادر إلى الذهن صورة المسمى .

فحين أقول لك : شمس . . يرد إلى ذهنك صورة القرص الذي يشرق كل صباح ليملأ الأرض نوراً ودفئاً . . وهكذا . . السماء . . الأرض . . الخيال . . الكواكب . . النجوم . . الشجر . .

كلها أسماء تدل على مسمى بعينه .

وقد علم الحق سبحانه وتعالى آدم الأسماء كلها . .

يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢١) [البقرة]

وكلمة ﴿ كُلَّهَا ﴾ تفيد الإحاطة والشمول .

وهنا مزال يطرح نفسه : هل تعلم آدم أسماء الله الحسنى من بين ما علمه الله من الأسماء ؟

إن الآية واضحة وصريحة في أن الله سبحانه وتعالى قد علم آدم الأسماء كلها . . ولا شك أن أسماء الله الحسنى من بين هذه الأسماء . . باستثناء تلك التي استأثر بها - سبحانه - في علم العيب عنه كما نصَّ الحديث الشريف .

لكن فما المقصود بأسماء الله الحسنى ؟

لكي نحدد المقصود بالأسماء الحسنى للحق عز وجل يجب أن نعرف ما هو الاسم أولاً ؟

الاسم : نوع من أنواع العلم . والعلم في اللغة هو اسم يعين مسماه - كما ذكرنا - بحيث إذا ذكر الاسم وردت صورة المسمى في الذهن .

وينقسم العلم إلى ثلاثة أقسام : «اسم ، ولقب ، وكنية» .

والاسم : هو ما يوضع على المسمى أول وضع بحيث إذا ذكر الاسم وردت صورة المسمى في الذهن .

فبأنك أنت أنا ، أطلقت عليه اسم (أحمد) مثلاً ، فهذا اسم له ؛ لأنك قد وضعت عليه أول وضع .

أما اللقب : فهو ما أشعر برفعة أو بضعة وكان وضعاً ثانياً . فابنك الذي أنجسته وأسميته أحمد قد تشعر مع الأيام أنه يتصف بالغباء فتطلق عليه لفظ (الجهول) أو (جهلان) .

ونظراً لأن هذا اللفظ يشعر بالضعة وقلة الشأن ، وقد وضع على المسمى وضعاً ثانياً ، فهو لقب وليس اسماً ، وعبارة «وضع ثانياً» تعني أن هذا اللفظ له اسم وضع له أول وضع ، ثم أطلق عليه اللقب . وهذا يعني أنك إذا أطلقت عليه «جهول أو جهلان» أول وضع لأصبح اسماً له وليس لقباً رغم ما فيه من إشعار بالضعة ، وهو ما ينطبق على اللقب لا الاسم .

والكنية: هي ما صدر باب أو أم أو أخ أو أخت وكانت وضعاً
ثانياً. فابنك الذي سميت أحمد حينما يكبر ويتجيب ابناً يسميه «بكر»
فيناديه الناس (أبا بكر) فإن هذه تصبح كنية له. فكل ما صدر باب
أو أم أو أخ أو أخت يسمى كنية بشرط أن يوضع على المسمى وضعاً
ثانياً. فلو أطلقنا على مولود (أبا بكر) فإن أبا بكر يصبح اسماً له
لا كنية؛ لأنه أطلق عليه وضعاً أولاً، لا ثانياً.

فشرط اللقب أو الكنية أن يوضع على المسمى وضعاً ثانياً، فإذا
وُضع له وضعاً أولاً كان اسماً للمسمى.

نوضح ما سبق بأمثلة: رسول الله ﷺ اسمه (محمد) . . وكنيته
(أبو القاسم)، ولقبه (رسول الله).

القاروق عمر: اسمه (عمر) وكنيته (أبو حمص)، ولقبه
(القاروق).

ونرجع إلى أسماء الله الحسنى. . فهل هي القاب للمحق عز
وجل؟ . . بالطبع ليست القاباً له؛ لأن جميع أسماء الله عز وجل تدل
على الرفعة وليس فيها ما يدل على الضعة، لأن الحق سبحانه منزّه
تزيهاً مطلقاً لا حدود له، كذلك لا يجوز أن يكون للمحق عز وجل
كنية؛ لأنه سبحانه وتعالى واحد أحد فرد صمد، وليس باب أو ابن
أو أخ لأحد، فهو سبحانه لم يلد ولم يولد.

إذن: فالأسماء الحسنى للمحق عز وجل هي تلك الأسماء التي
وضعها للدلالة على ذاته، وهذه الدلالة تنقسم إلى قسمين: دلالة
علمية، ودلالة وصفية.

والدلالة العلمية تطلق على ذات الحق سبحانه وتعالى ، وهي لفظ الجلالة (الله) .

قاله - إذن - علم على واجب الوجود ، أما سائر الأسماء الحسنی كالرحمن - مثلاً - فهي في الأصل للوصف ، فنحن نطلق عليها أسماء ، وإن كانت هي في حقيقتها أوصافاً تدل على بلوغ القصة في الوصف .

هذه الأسماء بما تحمله من صفات تحمل القيم الإلهية التي تتجمع في مسيرتها نحو منهج الحياة في إظهار واحد ، لتعتدل بموازين الحياة .

فإذا قلنا « الله » وهو لفظ الجلالة المصورون اسماً أو لقباً أو كنية ، والمصورون جلالاً وكمالاً ، فالأمر له ، والنهي منه ، والأمر والنهي يتحركان من خلال أسماء الله الحسنی .

الله المالك هو المالك لكل شيء ، والمتصرف في كل شيء ، والقباض على كل شيء ، والمدير لكل أمور .

هذه القضايا تحتاج إلى ذات الله مع صفاته ، فالمالك يحتاج إلى تدبير ، ولا يدبره إلا ملك ، ولا ملك سواه مالك الملك ، والملكية تحتاج إلى تدبير ، والتدبير أمره ، وأمره يحتاج إلى قوة تنفذه ، والقوة في ذاته سبحانه .

والله هو القيوم على ملكه ، لأنه القائم على كل شيء بحسب احتياج القضية ، فهناك قضية تحتاج إلى الرحمة ، فتتحرك صفة الرحمة .

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ ۝ (١٥٦) ﴾ [الأعراف]

وهناك قضية تحتاج إلى جدول ، فهو العادل .

وقد تحتاج القضية للانتقام ، فهو المنتقم .

وقد تحتاج إلى التسامح والمغفرة . فهو غافر الذنب وقابل التوب
وعفور وعفار .

وهكذا في جميع أسماء الله الحسنى .

والملاحظ أن كل حركة في الـكـوـن - وإن قلّت- تسجل في أسماء
الله الحسنى ، فالحركة تحتاج إلى تدبير ، والتدبير تدبير ، وتحتاج إلى
قوة ، وهو القوى المتين . وتحتاج إلى بداية فهو المبدى ، وتحتاج إلى
نهاية وهو المعيد .

بدليل أنك قد تقوم ولا تقعد ، وقد تقعد ولا تقوم ، وقد تنطق
ولا تجد نطقاً ، وقد تلبس ثوبك في الصباح ولا تدري هل تخلعه بيدك
أم تخلعه من عليك يد العاسل ، فالأمر له سبحانه .

وإذا تأملنا دعاء النبي عليه الصلاة والسلام : «اللهم إني أسألك
بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته
أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عنك أن تجعل القرآن
العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي» .

نجد أن الحق سبحانه وتعالى قد أورد بعض أسمائه الحسنى في
كتابه ، وبعضها على لسان نبيه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ،

واستأثر ببعضها في علم الغيب عنده، واختص ببعضها بعضاً من خلقه.

وحصر الأسماء في تسعة وتسعين اسماً لا ينفي ما عداها من الزيادة عليها، ولكن التخصيص بالذكر لهذه الأسماء التسعة والتسعين كان لأنها أشهر الأسماء وأظهرها من حيث المعاني.

إذن: فالأسماء الحسنى لله عز وجل هي تلك الأسماء التي وضعها الحق سبحانه وتعالى (إلا لا إله إلا الله) سواء تلك التي أنزلها في كتابه أو على لسان نبيه، أو استأثر بها في علم الغيب عنده، أو علمها بعضاً من خلقه.

ولكننا نبادر فنقول: إن ما تبحث عنه هنا هو تلك الأسماء التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة دون النظر إلى ما قد يكون هناك من أسماء لله عز وجل يعلمها رسول الله ﷺ وحده دون غيره من البشر عامة والأنبياء خاصة.

فقد ورد في صحيح البخاري عن أنس أن النبي ﷺ قال: «يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا؟ فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أما ترى الناس؟ خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء»، اشفع لنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناك، ويذكر لهم خطيبته التي أصاب، ولكن اتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحاً فيقول: لست هناك، ويذكر خطيبته التي أصاب، ولكن اتوا إبراهيم خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم فيقول: لست هناك، ويذكر لهم خطيباته التي أصابها، ولكن اتوا موسى،

عبدًا أتاه الله التوراة وكلمه تكليمًا، فيأتون موسى فيقول: لست
هناكم، وبذكر لهم خطيئته التي أصاب، ولكن اتوا عيسى، عبد الله
ورسوله وكلمته وروحه، فيأتون عيسى فيقول: لست هناك، ولكن
اتوا محمداً ﷺ عبدًا عُفِّرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني
فأنطلق فاستأذن علي ربي فيؤذن لي عليه، فإذا رأيت ربي وقعت له
ساجدًا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال لي: ارفع محمد،
وقل: تسمع وقل: تعطه واشفع تشفع، فأحمد ربي بمحامد علمنيها، ثم
أشفع فيحد لي حدًا فأدخلهم الجنة، ثم أرجع، فإذا رأيت ربي وقعت
ساجدًا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال لي: ارفع محمد،
وقل: تسمع وقل: تعطه واشفع تشفع، فأحمد ربي بمحامد علمنيها، ثم
أشفع فيحد لي حدًا فأدخلهم الجنة، ثم أرجع، فإذا رأيت ربي وقعت
ساجدًا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال لي: ارفع محمد، قل
تسمع، وقل: تعطه، واشفع تشفع، فأحمد ربي بمحامد علمنيها،
ثم أشفع فيحد لي حدًا، فأدخلهم الجنة، ثم أرجع فأقول: يا رب
ما بقى في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود، قال النبي
ﷺ: يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما
يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من
الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في
قلبه ما يزن من الخير ذرة.

من هذا الحديث الشريف نعلم يقيناً أن الحق سبحانه وتعالى قد اختص رسوله عليه أفضل الصلوة وأتم التسليم بتعليمه محامداً لم يعلمها أحداً غيره من البشر بمن فيهم سائر الأنبياء .
فماذا يمنع من أن يكون من بين هذه المحامد تلك الأسماء الحسنى التي استأثر بها الحق عز وجل في علم الغيب عنده؟

أسماء لها مقابل وأسماء بلا مقابل

هناك أسماء للمحق سبحانه وتعالى لها مقابل مثل : المعز ، المذل . .
القابض ، الباسط . . المبدى . . المعيد . . الراقع ، الخافض . . المقدم ،
المؤخر . . الضار ، النافع . . المخيي ، المميت .

والأسماء التي يكون لها مقابل هي تلك التي يكون فعلها في
مخلوقاته ، فالحق سبحانه وتعالى يعز من خلقه من يشاء ويذل من
يشاء ، ويرفع من يشاء ويخفض من يشاء ، وهو الذي يحيى ويميت
مخلوقاته وفقاً للأجال التي حددها لهم .

أما الأسماء التي تثل أوصافاً ذاتية لله عز وجل فهي لا تقبل
العكس . . كأن نقول : العزيز . . فهذه صفة للذات الإلهية العلية ،
والذاتية لا تقبل العكس فنقول : إن من صفاته هو وجل العزيز ، بينما
ليس من صفاته الذليل . وأن من صفاته الحي ، بينما ليس من صفاته
الميت ، وهكذا هي سائر الصفات .

وكما قلنا من قبل : إن أسماء الله الحسنى وإن كنا نطلق عليها
أسماء ، إلا أنها أوصاف تُلحق على باطن القمة في الرصف . فكل اسم
من أسماء الحق عز وجل يمثل صفة من صفاته .

فالرحمن - مثلاً - اسم من أسماء الله ببرز صفة الرحمة لديه ،
والغنى اسم من أسمائه يوضح غناه عما سواه في كافة شئونه . وقد
اشترك المخلوق مع الخالق في صفة من صفاته . كأن نقول : إنه غلانا
غنى ، أما إذا وردت الصفة على إطلاقها كأن نقول : (الغنى) فإنها
لا تطلق إلا على الحق عز وجل .

أسماء لها مقابل وأسماء بلا مقابل

وينطبق ذلك على جميع الأسماء عدا لفظ الجلالة (الله) ؛ لأنه ليس صفة من صفات الله ، ، ليس مشتقاً من فعل معين ، وإنما هو عِلْمٌ على واجب الوجود ، أى : عِلْمٌ على الحق تبارك وتعالى بذاته وصفاته التى وصف بها نفسه ، فهو يحوى جميع صفات الكمال الواجبة للحق عز وجل .

فالقاعدة - إذن - أن كل اسم من أسماء الله الحسنى يمثل صفة من صفاته عدا لفظ الجلالة . . . فإنه وإن كان لا يمثل صفة بعينها ، إلا أنه يحوى جميع الصفات الأخرى . . . فحين تقول : يا الله . . . فأنت تدعوه بجميع صفات الكمال الواجبة لذاته عز وجل ، والتى وصف بها نفسه .

والله هو أشهر أسمائه - سبحانه وتعالى - وأعلاها سبحانه فى الذكر والدعاء ، وقد صار شعار الإيمان وإمام سائر الأسماء .

وهو اسم ممنوع لم يتسم به أحد ، وقد قبض الله عنه الألسنة ، فلم يُطلق على أحد سواه . . . وسبحانه وتعالى يقول :

﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ (٢٠) [مريم]

وأسماء الله الحسنى لا تدخل تحت حصر ، فهى ليست تسعة وتسعين اسماً فقط - كما يظن البعض - بدليل أن هناك أسماء قد استأثر بها الحق فى علم الغيب عنده ، لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل ، وأخرى قد اختص بها بعضاً من خلقه ،

وقد جاء في الحديث الصحيح : « أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك أو علمه أحد من خلقه ، أو أنزله في كتابك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك » .

الاسماء الحسنى ثلاثة أقسام :

قسم سمي به الحق سبحانه نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته أو خيرهم ، ولم ينزل به في كتابه ،

وقسم أنزل به في كتابه فعمدة عبادته .

وقسم استأثر به في علم الغيب ، فلم يطلع عليه أحد من خلقه .

والمراد انفراداً بالتسمي به ، لأن هذا الانفراد ثابت في الأسماء التي أنزل بها كتابه في إشرافات الأسرار للعبد المختار .

ومن قول النبي ﷺ في حديث الشفاعة : « فيفتح علي من معامده بما لا أحسنه الآن » .

وتلك المحامد تفي بأسمائه وصفاته ، ومنه قول النبي ﷺ : « إن لله تسعة وتسعين اسماً ، من أحصاها دخل الجنة » قال الكلام جملة واحدة ، وقوله : « من أحصاها دخل الجنة » صفة لا خير ، والمعنى له أسماء متعددة .

وهذا لا ينبغي أن يكون له أسماء غيرها كما تقول : لقنلان مائة قرص
قد أعدها للجهاد ، فلا يجب أن يكون له أفراسٌ سواها مُعدةٌ لغير
الجهاد ، إذ إن هناك في أسماء الله الحسنى إمدادات وإشراقات وأسراراً
تفوح عطرًا من ثنانيا المعدادات من الأسماء ، وتعطي سرًا من المعلومات
من الصفات التي استأثر بها الحق عز وجل في علم الغيب عنده .

وتجلى ذلك في كمال الدين ، وتمام النعمة ، والرضا بالإسلام
دينًا ، فتجلى محمد ﷺ في تطبيق المنهج كاملاً للدليل واضح أن الله
اختصه بأسرار تؤنس في مسيرة الدعوة ومصيرها ، وقد تكون هذه
الأسرار هي من أسرار أسماء الله الحسنى .

الاسماء الحسنی

وهنا يتزايد التساؤل . . هل الاسماء الحسنی لله عز وجل في مجموعها - التي تعلمها والتي لا تعلمها - محصورة بعدد معين . أم هي لا نهائية ؟

لقد قيل الكثير في هذا الموضوع ، ولكن الصواب أنها مسألة في علم الله عز وجل وحده . . والسبب في ذلك هو أن الاسماء التي اختص الله بها بعضاً من عباده ، والاسماء التي استأثر بها في علم الغيب عنده . . لا تعلم إذا كانت محصورة أم لا نهائية . . وإذا كانت محصورة بعدد معين فتحين لا تعلم عندها .

فالقاعدة إذن أن أسماء الله الحسنی أكثر من تسعة وتسعين اسماً ، أما كونها محصورة بعدد معين معلوم أو مجهول أو لا نهائية . . فالعلم عند الله وحده ، عز علمه على أن يحيط به سواه .

يقول الحق جل وعلا:

﴿ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ
عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (١٢٤) ﴿

[البقرة]

﴿ وَلَبَّلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقَصَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ
وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٥٥) ﴿

[البقرة]

﴿ . . وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (٣٠) ﴿ [الأنفال]

﴿ . . فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١) ﴿ [إبراهيم]

والملاحظ أن الآيات السابقة قد احتوت على أفعال للحق عز وجل : «أنعمت» ، و«لبللونكم» ، و«ويمكر الله» ، و«يضل من يشاء» .
ومن المعلوم أنه يصح لغوياً اشتقاق أسماء من الأفعال فنقول : إن
«منعم» اسم مشتق من أنعم ، و«مبتلى» من ابتلى ، و«ماكر» من مكر ،
و«مضل» من أضل .

هذا من حيث اللغة . أما فيما يتعلق بأسماء الله الحسنى ، فالقاعدة
أنه لا يجوز أن نشق من أفعال الله عز وجل أسماء له ، وبذلك لا يكون
من أسمائه عز وجل «المنعم» أو «المضل» أو «المبتلى» أو «الماكر» اشتقاقاً من
أفعال الحق تبارك وتعالى .

لا يجوز اشتقاق أسماء من أفعال الحق عز وجل

والسبب في ذلك هو أن هذه الأفعال لا تعطى بذاتها، وهي منفصلة عن الجمل التي وردت فيها أو صافاً لله عز وجل يصح أن تطلق عليه على وجه التعميم والشمول.

ففي الآية الأولى نجد أن إنعام الله عز وجل كان على بنى إسرائيل، كما أن إنعام الله عز وجل يكون من نصيب أوليائه الصالحين الطائعين. فهو تبارك وتعالى يرزق الجميع، ولكنه ينعم على خاصته.

وكذلك لا يصح أن يكون المبتلى من أسمائه عز وجل؛ لأن هذا الوصف لا يمكن تخيله بعد قيام الساعة، فالاختيار والابتلاء محله الدنيا، وينتهي بنهاية الحياة على الأرض، وبذلك لا يكون المبتلى مصفاً مادياً من أوصاف الله عز وجل. وإن كان فعلاً من أفعاله في وقت من الأوقات.

وأيضاً الماكر فعل من أفعال الله، ولكنه في مواجهة الماكرين من عباده.

والإفلال يكون لمن اضطلع في ضلاله، ولا سبيل لرجوعه ورجوعه، فيضله الله عز وجل بأن يتركه على ضلاله حتى يحق عليه جزاء فعله.

وعمل ذلك قولنا: (شديد العقاب - قابل التوب - خافر الغضب) هي أوصاف لله عز وجل، ولكن لا يصح أن نستخرج منها أسماء لله عز وجل فنقول: إن من أسمائه عز وجل (الشديد أو القابل أو الغافر)، وذلك لنفس العلة التي ذكرناها في عدم جواز الاشتقاق من الأفعال.

من صفات الحق عز وجل أنه أزلي ، أي : ليس له بداية ؛ لأن الله سبحانه الأول قبل كل شيء ، والباقي بعد فناء كل شيء ، بلا نهاية .

كل مخلوق من مخلوقاته له تاريخ ميلاد ، وتاريخ ميلاده هو تلك اللحظة التي أوجده الله فيها ؛ ولأن الله سبحانه وتعالى ليس له بداية فإنه عز وجل ليس له خالق ؛ لأنه لم يسبقه أحد في الوجود حتى يكون خالقاً له .

وصفات الحق عز وجل التي وصف بها نفسه هي صفات أزلية .. أي : قديمة قدم الله عز وجل ، والسبب في ذلك هو أن هذه الصفات لصيقة بالذات الإلهية ، والذات الإلهية قديمة .. أي : ليس لها بداية .

إن من صفات الحق عز وجل أنه خالق ، فإن هذه الصفة قديمة له وليس لها بداية ، فهو خالق قبل أن يخلق مخلوقاته ، ولو لم تكن هذه الصفة أزلية له لما استطاع أن يخلق الخلق .

وصفات الله عز وجل مطلقة في ذاته ونسبة في خلقه ، فحين أقول لك : إن فلاناً عالم ، فإنك سوف تسأل : وفي أي فرع من العلوم ؟ فأقول لك : إنه عالم في الطب ، فتسأل : وفي أي فرع من فروع الطب ؟ فأقول لك : في الجراحة ، وقد تسأل : وما قدر إيجاده لهذا التخصص ؟ .

هذا بالنسبة إلى علم المخلوق ، أما علم الخالق - عز وجل - فهو علم قديم .. علم بما كان وما هو كائن وما سيكون ، ولا يستجد في علم الله ما لم يكن يعلم به ، وعلمه مطلق .

صفات أزلية .. وصفات مطلقة

فعلم الله ليس كعلم الناس ، وعلم الخالق ليس كعلم المخلوق ،
فعلم المخلوق له حد ، وعلم الله بلا حد .

وقد أكد الحق تبارك وتعالى طلاقة علمه بالعديد من الآيات القرآنية
مستخدماً مشتقات مختلفة . منها الفعل الماضي "علم" ، وذلك كما
في قوله تعالى :

﴿ .. فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً

[الفتح] ﴿١٧٨﴾

﴿ .. فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً

[الفتح] ﴿١٧٩﴾

﴿ ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم .. ﴾ [٢٣] [الأنفال]

﴿ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً .. ﴾ [٢٤] [الأنفال]

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۚ ﴾ (١١) ﴿ [ق]

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَسْرُونَ وَمَا تَعْلَنُونَ ﴾ (١٢) ﴿ [الحل]

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ ﴾ (١٣) ﴿ [الرعد]

[الرعد]

﴿ وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۖ ﴾ (١٤) ﴿ [هود]

﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۚ ﴾ (١٥) ﴿ [آل عمران]

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ ﴾ (١٥٥) ﴿ [البقرة]

﴿ إِنْ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ۖ ﴾ (١٦) ﴿ [العنكبوت]

وَمُسْتَحْدَمُ الْفِعْلِ الْمَاضِي (عَلِمَ) ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ۖ ﴾ (٣١) ﴿ [البقرة]

﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۖ ﴾ (٦٦٠) ﴿ [المائدة]

﴿ ۝ فَبِإِذَا أَمَرْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ۝ ﴾

(٢٣٦) ﴿ [البقرة]

﴿ ۝ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٦٨) ﴿ [يونس]

[يونس]

﴿ وَأَتَادَ اللَّهُ الْمَلِكَ وَالْحِكْمَةَ وَعِلْمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۖ ﴾ (٢٥١) ﴿ [البقرة]

ومستخدماً الاسم المشتق «عالم» ، كما في قوله تعالى :

﴿عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ (٦) [الرعد]

ومستخدماً صيغة التفضيل «أعلم» على وزن أفعل ، كما في قوله تعالى :

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ (٦٥) [الإسراء]

ومستخدماً صيغة المبالغة «عليم» ، مثل قوله تعالى :

﴿... وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (٢١٥) [البقرة]

أنت أيها الإنسان قد تنسى أشياء مما تعلم ، أما هو - سبحانه وتعالى - فمترّء عن النسيان ، وقد لليس حليق الأمور إذا أراد من قدرته الحفظ لديك ، أما الحق سبحانه وتعالى ورغم علمه اللا محدود فهو مترّء عن هذا اللبس والخلط بين ما يعلمه عن الأمور .

والله سبحانه وتعالى هو وحده (عالم الغيب والشهادة) ، وقد يتعجب بعض الناس .. لماذا جاءت كلمة الشهادة هنا .. والمقصود بها العالم المشهود ؟

نقول : إنها جاءت حتى لا يعتقد أحد أن الله سبحانه وتعالى - لأنه غيب عنا - يعلم الغيب فقط .. وأنه جل جلاله يغيب عن علمه ذلك العالم المشهود الذي نعيش فيه .. فجمع الله بين العالمين .. عالم الغيب وعالم الشهادة ، ليغلق باب التأويل والاجتهاد .. قاله سبحانه

وتعالى عنده علم الغيب . . وعنده علم المشهود الذي يحدث في الدنيا . . وبهذا لا يغيب عن علمه شيء . لا في الأرض ولا في السماء .

إن معنى (عالم الغيب) . . أن الحق سبحانه وتعالى يعلم كل ما هو غيب عنا - وكما قلنا - نحن نعلم القليل . . والقليل جداً مما في الكون . . ولا نعلم إلا قدر ما كشف الله لنا .

وكلمة "عالم الغيب" تقتضي علماً مطلقاً لله سبحانه وتعالى . . فكل ما هو غائب عنا يعلمه الله تبارك وتعالى . . الكون غيب عنا . ولكن الله يعلمه . . وعالم الجن غيب عنا ولكن الله يعلمه . وعالم الملائكة غيب عنا . . ولكن الله يعلمه . . وما ينزل إلى الأرض . وما يصعد إلى السماء تلاعباً غيب عنا ولكن الله جل جلاله يعلمه . وعالم البرزخ غيب عنا . وكذلك يوم القيامة . والحساب والآخرة . . والجنة والنار . . كل هذا غيب عنا . ولكن الله تبارك وتعالى يعلمه .

إن ما سيحدث بعد يوم القيامة غيب عنا ولكن الله يعلمه . . وما يقع في باطن الأرض غيب عنا ولكن الحق عز وجل يعلمه . . الثمرة التي ستنبث بعد ألف سنة غيب عنا ولكن الله يعلمه . . الإنسان الذي سيولد قبل القيامة بساعات غيب عنا ولكن الله يعلمه . . والورقة التي تسقط بعد مئات أو آلاف السنين غيب عنا ولكن الله يعلمه . . وأحداث الدنيا كلها التي ستقع غيب عنا ولكن الله يعلمها .

إنه إذن العلم المطلق . . العلم بلا محدود . . اللانهائي . . علم بما كان وبما هو كائن وبما سيكون .

الكمال

الكمال في ذاته وصفاته وأفعاله، والجلال له وبه وعليه، يشير إلى ذلك قوله تعالى:

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٢٩)﴾ [الأنعام]

كما يشير إلى ذلك قوله تعالى:

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ (٧٣)﴾ [الأنعام]

وعلم الغيب يقتضي العلم المطلق، فكل ما عاب عما يعلمه الكون غيب لا يعلمه إلا هو، وعالم الجن غيب لا يعلمه إلا هو، وعالم الملائكة غيب لا يعلمه إلا هو، وأسرار العطاء للعالم البشري غيب لا يعلمها إلا الله.

ويعلمها المخلوق باذن ميلادها . يقول الحق :

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ عِندَ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ (٣١)﴾ [الأنعام]

إذن العالم المطلق العلم اللامحدود هو علم بما كان ، وبما هو كائن ، وبما سيكون ، وهكذا جميع الصفات فيها الكمال ، كلمة ، فأنت قادر بقدر محدود بقدر ما أنك الله عز وجل من هذه الصفة ، أما قدرته فلا لهائية ويغير حد ، وأنت قدرتك محدودة بحدود الأسباب .

يقول الله :

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (١٣١) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَاقِبَةً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (١٣٢)﴾ [الشورى]

الأصل فى الإيجاد الذكور والأنثى ، ولكن الله سبحانه وتعالى بطلاقة قدرته خلق آدم بغير أب وأم ، وخلق حواء من غير أم ، وخلق عيسى من غير أب ، وخلق محمداً باب وأم .

إذن : فطلاقة عمله بالأسباب وغيرها ، فأنه إذا استشعرت الكمال عشت فى جلاله ، وعيشة الجلال وصال ، وعن طلاقة قدرته من ظواهر الكون أن المطر مثلاً تجده فى مناطق ممطرة ومناطق لا يتزل فيها مطر ، ثم تجد مناطق المطر لا تتزل فيها قطرة ماء وتصاب بالجذب ، بينما هذه المناطق يتزل فيها المطر بغزارة ، ثم تجد منابع النيل التى هى مناطق غزيرة بالمطر قد تصاب بالجذب فى بعض السنوات ، ولو أن هذا المطر يتزل بالأسباب وحدها ما حصل جذب .

إذن : يلغتنا الله إلى أن الماء الذى يتزل من السماء ليس خاضعاً للأسباب ، ولكنه محكوم بقدرته القادر .

وإذا انتقلنا من الكون إلى عالم الحيوان لرأينا عجيباً ، فهذا حصي يقود جملاً ويسوق حصاناً ، وهذا رجل يروى أسداً ، يقول الحق :

﴿وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٤)﴾ [يس]

الكمال

ولو انتقلنا إلى عالم الزرع نجد قدرة الله تتجلى فيه ، فالإنسان يزرع ، والله يعطيه الأسباب ، ثم نأني أفة لا يعرف أحد عنها شيئاً فتتقضى على هذا الزرع ، يقول الحق :

﴿ وَأَحِيط بِشْمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ۚ ﴾ (٥١)

[الكهف]

ولو عشنا مع الجماد نجد أن من طبيعة الأرض نبات قشرتها بدوام الحياة عليها ، وفي بعض الأحيان تتحول هذه القشرة الشابة إلى البراكين ، وتحدث الزلازل المدمرة ، ويتقدم العلم ويكشف الله من علمه ما يشاء ، ولكن يبقى الإنسان عاجزاً عن أن يتنبأ بالزلازل .

يقول الله وهو أصدق القائلين :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ۚ ﴾ (٥٨)

[الأنعام]

إلى غير ذلك من الآيات التي تبين خلافة القدرة ، والإيمان بطلاقة القدرة هو اليقين بعينه ، وحق اليقين توحيده وتقديره ، لأنه وبنا الموجود الذي تبين في خلقه بالثبات والدقة التي لا تتأثر بالزمن ، ولا تتعيب بالأسباب ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، ليس كمثله شيء . وله صفات اختصاص الله بها دون سواه ، فصفة الخلق من العدم المطلق ، وصفة الإحياء والإماتة والأزلية .

وهناك صفات فيها اشتراك بين الخالق والمخلوق ، ولكنها في المخلوق موقوفة بحد ، أما صفات الله فهي مطلقة بغير حد ، ليس كمثله شيء ، والله قادر وقدرته في كمال بغير حد ولا قيد ولا سبب ولا قانون .

أما قدرة المخلوق في حدود إمكانياتك وفي حدود زمناك ، ولكي تعيش مع كمال الأسماء لا بد أن تدرك ثم تفعل ثم تميز وتختار ولا تختار إلا القوي القادر .

يقول الحق :

﴿ إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (١) الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعليهم يسعون ويذكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فَمِنَّا عَذَابِ النَّارِ (٢) ﴿١﴾ (آل عمران)

ففى التأمل فكر . وفى الفكر ذكر . وبقدر ذكرك لله تعيش فى نوره ، ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ (٣) (سورة

فيقول الحق :

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نَوْرِهِ كَمِثْكَاهِ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارُ نَوْرٍ عَلَى

الكمال

تُورِيهِدِي اللّٰهَ لِنُورِهِ مِنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللّٰهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ (٣٥) ﴿٣٥﴾ [النور]

فتور الله خصصه الله لأهل الفكر والذكر ، يقول الحق :

« فِي بُيُوتِ أَذُنِ اللّٰهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا اسْمُهُ يَسْبَحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ
وَالْآصَالِ (٣٦) وَحَالًا لَا تُلْهِمُهُمْ نَجَارَةً وَلَا مَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللّٰهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ
وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ
اللّٰهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللّٰهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ
حِسَابٍ (٣٨) ﴿٣٨﴾ [النور]

وقد سبق أن قلت : إن أسماء الله الحسنى تتجلى في الغيب ،
والمشهود . تتجلى في الحركة ، فالحركة من خلال علم بتدبير ، ومن
خلال قدرة بتدبير .

وهذه الحركة تتجمع فيها صفات الكمال وصفات الجلال . ولكي
نعيش في معية الله سبحانه وأسمائه الحسنى لا بد أن نشاهد فنشاهد
ونحب ، فإذا أحببنا وحَدَّثنا ، وإذا وحَدَّثنا فَرَدَّدنا ، وإذا فَرَدَّدنا تَجَرَّدنا له
وبه . ﴿ قُلْ إِنْ هَلَاكِي وَنَسْكَي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢٠٩) ﴾ [الأنعام]

طلاقة قدرة الله متحققة في جميع ظواهر الكون .. فلو أخذنا المطر مثلاً ، نجد أن الله سبحانه وتعالى بأسباب كونه جعل مناطق ممطرة في الكون ، ومناطق لا ينزل فيها مطر ، وقد كشف الله للعلماء من علمه ما جعلهم يضعون خريطة للأسباب تحدد المناطق الممطرة وغير الممطرة .

ثم يأتي الله سبحانه وتعالى في لفظة إلى طلاقة قدرته .. فتجد المناطق الممطرة لا تنزل فيها قطرة ماء وتصاب بالجذب ، ويهلك الزرع والحيوان ، وقد يموت الإنسان عطشاً .. بينما هذه المناطق كان ينزل فيها المطر بغزارة ، وربما سار في أنهار ليروي غيرها من البلاد التي لا تنزل فيها مطر .

فتجد مثلاً منابع النيل التي هي مناطق غزيرة المطر تأتي فيها سنوات جاذب فلا يجد الناس الماء ، ولا يحدث هذا بشكل مستمر بل في سنوات متناوبة .

لو أن هذا المطر ينزل بالأسباب وحدها ما وقع هذا الجذب في المناطق غزيرة الأمطار .. ولكن الله يريد أن يلفتنا إلى طلاقة قدرته ، وإلى أن الماء الذي ينزل من السماء ليس خاضعاً للأسباب وحدها .. ولكن الذي يحكمه هو طلاقة قدرة الله ، حتى لا نفتقد أننا أخذنا الدنيا وملكتها بالأسباب ، ولكي نعرف أن هناك طلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى ، وهي التي تعطي وتمنع .. وأنه - جل جلاله - فوق الأسباب ، وهو سبحانه المسيب يغير ويبطل كما يشاء .

طلاقة القدرة .. وليس الأسباب

فإذا جئنا إلى الزرع ذلك الذي فيه عمل الإنسان ، نجد مظاهر طلاقة القدرة .. فالإنسان يزرع الزرع والله يعطيه كل الأسباب .. الماء موجود والكيمويات متوافرة .. والأرض جيدة .. ثم بعد ذلك تأتي آفة لا يعرف أحد عنها شيئاً ، ولا يحسب لها حساباً ، فتقضي على هذا الزرع تماماً .

وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَأَحِيط بِشْرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَىٰ مَا أَلْقَىٰ فِيهَا وَهِيَ خَاضِعَةٌ عَلَىٰ عُرْوَشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ (٢١) [الكهف]

ونحن نعرف أن الآفات تصيب كل مكان في الأرض لا يعلمو عليها عام .. - انا .. وهكذا حتى نعرف أن الأرض لا تسطينا المفسر بالأسباب وحدها .. ولكن بقدرة الله سبحانه وتعالى التي هي فوق الأسباب .. فلا نعبء الأسباب وننسى المسبب .. كمن عبدوا البقر والبار وغيرهما من المعبودات .

فإذا استقلنا إلى الحيوان نجد طلاقة القدرة واضحة .. فهناك من الحيوان ما تزيد قوته على قوة الإنسان مرات ومرات .. ولكن الله سبحانه وتعالى قد أخضعه وذلك للإنسان .

إننا نجد الصبي الصغير يقود الجمل أو الحصان ويضربه ، والجمل يستطيع بضربة قدم واحدة أن يقضي على هذا الطفل ولكنه لا يفعل ويمضي ذليلاً مغليماً ، ولا يرد على الإيذاء رغم قدرته على ذلك ، ونجد الكلب مثلاً يحرس صاحبه - يدافع عنه لأن الله ذلله له - فإذا

جئنا إلى الذئب أو الثعلب من فصيلة الكلب نجده بفترس الإنسان ويقتله .

ولو أن هذا التذليل للحيوان بقدرة الإنسان لاستطاع كما ذلل الحمل والبقرة والكلب أن يذل الذئب والثعلب وغيرهما من الحيوانات . . . ولكن الله يريد أن يلفتنا إلى أن هذا التذليل بقدرته سبحانه وتعالى . وهذه علامة من علامات طلاقة القدرة في الكون . . لياقتنا الحق سبحانه وتعالى إلى أن كل شيء بقدرته ومه . . وليس بالأسباب ، وليس بقدرة الإنسان .

ثم نأتى إلى الجماد . . الأرض من طبيعتها ثبات قشرتها حتى يستطيع الناس أن يعيشوا عليها ، وينو مساكنهم ، ويمارسوا حياتهم . . ولو أن قشرة الأرض لم تكن ثابتة لاستحالت الحياة عليها ، والاستحالت عقارتها .

إن الله سبحانه وتعالى يريد منا عمارة الأرض . . ولذلك جعل قشرتها ثابتة صلبة . . ولكن في بعض الأحيان تتحول هذه القشرة الثابتة إلى عدم الثبات . . فتتفجر البراكين ملقبة بالحمم . . وتحدث الزلازل التي تدمر كل ما على المكان الذي تقع فيه .

ويتقدم العلم ، ويكشف الله من علمه الخلق ما يشاء . . ولكن يبقى الإنسان عاجزاً عن أن يتنبأ بالزلازل . . فيأتى الزلزال في أكثر بلاد الدنيا تقدماً ليفاجي أهلها دون أن يشعروا يقرب وقوعه .

بل إنه من طلاقة قدرة الله عز وجل أنه أعطي بعض الحيوانات التي ليس لها عقول تفكر ولا علم ولا حضارة . . أعطاها غريزة الإحساس

طلاقة القمر . . وليس الأسباب

بقرب وقوع الزلزال . . ولذلك فهي تسارع بمغادرة المكان ، أو يحدث لها هياج إن كانت محبوسة في أقفاص أو حظائر مغلقة . . ذلك ليلفتنا سبحانه وتعالى إلى أن العلم يأتي منه ، ولا يحصل عليه الإنسان بقدرته . . فيعطى من لا قدرة له على الفكر والكشف العلمي ما لا يعطيه لذلك الذي ميزه بالعقل والعلم .

لماذا . . لنعلم أن كل شيء من الله فلا نعبد قدرتنا . . ولا نقول : انتهى عصر الدين والإيمان وبدأ عصر العلم . . بل لفتت إلى أن الله يعطي لمن هم دوننا في الخلق علماً لا نصل نحن إليه . . فنعرف أن كل شيء بقدرته وحده سبحانه وتعالى ، وقد أكد الحق سبحانه وتعالى طلاقة قدرته بالعديد من الآيات القرآنية بمشتقات متعددة منها « القادر » كما في قوله تعالى :

« قُلْ إِنْ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ »

(٣٧) ﴿٣٧﴾

[الأنعام]

« قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسَكُمْ لِسِينًا وَيَذِيقَ بَعْضَكُمْ بِأَسِ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ تُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ » (٣٨) ﴿٣٨﴾

[الأنعام]

« أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ . . » (٤٤) ﴿٤٤﴾

[الأنعام]

﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَكُنْ يَخْلُقْهُنَّ

بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَحْيِيَ الْمَوْتَى .. ﴾ (٣٣) ﴿

[الأنعام]

﴿ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾ (٤) ﴿

[الطارق]

﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ

لِقَادِرُونَ ﴾ (٦٨) ﴿

[المؤمنون]

﴿ وَإِنَّا عَلَى أَنْ تَرْجِعَ مَا نَعُدُّهُمْ لِقَادِرُونَ ﴾ (٩٥) ﴿

[المؤمنون]

﴿ فَلَا أَقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لِقَادِرُونَ ﴾ (٤١) ﴿

[المعارج]

﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴾ (١٣) ﴿

[المرسلات]

﴿ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نَسْوِيْ بَنَانَهُ ﴾ (٤) ﴿

[الغاشية]

﴿ .. وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ﴾ (١٠) ﴿

[البقرة]

﴿ .. أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

﴾ (١٤٨) ﴿

[البقرة]

﴿ .. يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٧) ﴿

[الأنعام]

﴿... وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٤) [التوبة]

﴿... وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٥) [الحج]

﴿... يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنْ أَلَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٦) [فاطر]

﴿... وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ (٣٧) [النورى]

ولقد لفتت مريم زكريا عليهما السلام إلى طلاقة القدرة الإلهية حينما سألهما:

﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا...﴾ (٣٧) [آل عمران]

فأجابته مريم:

﴿... قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنْ أَلَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣٨) [آل عمران]

حيث دعا زكريا ربه في قضية لا تنفع فيها إلا طلاقة القدرة، فهو رجل عجوز وامرأته عجوز وعاقرة ويريد ولداً.

هذه رغبة ضد قوانين الكون، لأن الإنجاب يتوقف بعد عمر معين للزوجين، فما بالك إذا كانت الزوجة عاقراً، لم تنجب وهي شابة وزوجها شاب، فكيف تنجب وهي عجوز وزوجها عجوز؟

هذه مسألة ضد القوانين التي تحكم البشر، ولكن الله وحده القادر على أن يأتي بالقانون، وفعله .. وتحققتم تشيئة الله عز وجل والرزق زكريا بابنه يحيى .

جميع المعجزات التي آتاه الله بها أنبياءه كانت خارفة لنواميس الكون، فمعجزة نوح البحر عصا موسى عليه السلام كانت خرقاً للخصائص والقوانين التي تحكم الماء .. فمن خصائص الماء وهو في الحالة السائلة أن يتشكل وفقاً للمحير الذي يوجد فيه، فيأخذ شكل الثروب ويأخذ شكل المجرى الذي يجري فيه .. أما أن يقف ويثبت الماء على شكل جبل وهو في حالته السائلة ودون أن يلتصق به حاجز مع انزلاقه .. فهذا لا يحدث إلا بخرق الخصائص الماء وهو في حالته السائلة.

وحين يحدث فهي إذن القدرة الإلهية التي تتحدى وتكسر أي قانون.

ومعجزة العصا وتحولها إلى ثعبان كانت خرقاً للخصائص والقوانين التي تحكم الجماد.

ومعجزة امتناع النار بإذن خالقها عن حرق أبي الأنبياء إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم - كانت خرقاً لخاصية النار في الإحراق.

وهكذا جميع المعجزات تمثل خرقاً لنواميس الكونية.

طلاقة القدرة .. وليس الأسباب

إذن: كل شيء في هذا الكون باسم الله .. يتم باسم الله وبإذن الله، الكون تحكمه الأسباب نعم .. ولكن إرادة الله فوق الأسباب ؛ لأنه خالق الأسباب ، والخالق هو الحاكم على المخلوق بنواميسه .. ولا يصح أن يحكم بنواميس مخلوقاته .

ومظاهر قدرة الله في كونه كثيرة .. فهو وحده الذي ينصر عباده الصالحين ، وهو الذي ينصر الضعيف على القوي ، ويستقم للمظلوم من الظالم ، وكل ما في الكون خاضع لطلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى .

على أن طلاقة القدرة في تعبير ما هو ثابت من قوانين الكون إنما سيأتي عند نهاية الحياة على الأرض .. حيث لا يغير الله القوانين كلها ويحدث الدمار الشامل ، وتنتهي الحياة على الأرض ، بل وفي الكون كله . وساعتها لا يكون الله رجاء إلا الله .. ربهم وهم إلى الحق الذي لا يموت .. وذلك مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انشَثَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمْتَ نَفْسَ مَا قَدُمْتَ وَآخِرَتْ (٥) ﴾ [الأنعام]

وقوله تعالى :

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالِهَا (١) وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالُهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُجَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾ [الزلزلة]

وقوله تعالى :

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١) وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥) ﴾ [الانشقاق]

وقوله تعالى :

﴿ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٥) ﴾ [الحاقة]

إذن : الذين يقولون : إن عظمة الله سبحانه وتعالى في خلقه هي الثبات والدقة التي لا تتأثر بالزمن ، والتي تبقى ملايين السنين دون أن تحتل ولو ثانية واحدة . نقول لهم : هذه موجودة وانظروا إلى الفوايين الكونية ودقتها ، وكيف أنها لم تتأثر بالزمن .

والذين يقولون : إن عظمة الحق سبحانه وتعالى في طلاقة قدرته في كونه وألا تكون هذه القدرة مقيدة بالأسباب . . نقول لهم : انظروا في الكون وحولكم مظاهر طلاقة القدرة ، وليست هذه المظاهر مختلفة أو مستورة ، بل هي ظاهرة أمامنا جميعاً ، وليست في أحداث بعيدة عن حياتنا . بل هي تحدث لنا كل يوم .

وإذا صاح إنسان من قلبه : (ربنا كبير) أو (ربنا موجود) أو (وبك يمهل ولا يمهل) ، فمعنى ذلك أنه رأى طلاقة قدرة الله تحسف مظلوماً ، أو تنقم من ظالم ، أو تنصر ضعيفاً على قوى ، أو تأخذ قوياً وهو محاط بكل قوته الدنيوية .

طلاقة القدرة .. وليس الأسباب

فالإنسان لا يتذكر قدرة الله عندما يرى الكون أمامه يمضي بالأسباب ؛ لأن ذلك شيء عادي ولا يوجب التعجب .

فانتصار القوى على الضعيف لا يثير في النفس اندهاشاً ، وشروق الشمس كل صباح لا يستوقف الذهن ، ولكننا نتذكر قدرة الله إذا اخلت الأسباب أمامنا ، وجاء المسبب ليعطينا ما لا يتفق مع الأسباب ولا مع قوانينها .

هذا عن طلاقة علم الله سبحانه وتعالى وطلاقة قدرته ، فإذا تأملنا صفة أخرى من صفات الحق عز وجل وهي صفة «الخلق» ، نجد أنه تبارك وتعالى لم يرض على عباده بصفة الخلق ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ .. تبارك الله أحسن الخالقين ﴾ (١٥) [المؤمنون]

نعم .. استطاع البشر خلال ارتقاءات حياتهم المادية أن يتوصلوا إلى أشياء واكتشافات ، ولكن الاكتشافات العلمية لا تستطيع أن توجد من عدم .. فهم يأخذون المادة - التي خلقها الله - ويستخدمون العقل - المخلوق من الله - فيما يفعلون .

فعلى سبيل المثال : الذي يصنع الكوب يستخدم المادة الموجودة في الأرض من الرمال الخاصة ، ويستخدم الطاقة التي خلقها الله في الكون لصناعة هذا الكوب . ولكن هناك فرقاً بين ما يصنعه البشر ، وما يتم بقدرة الله تبارك وتعالى ، فكل صناعات البشر لا يستطيع الإنسان أن يهب لها الحياة ، كان يجعلها تتكاثر بذاتها لتعطيك مثلاً ، فلا يستطيع إنسان أن يصنع كوباً ذكراً وكوباً أنثى ، ثم يجعلها

تتكاثر بذاتها ، كما أنه لا يستطيع أن يعطيها خاصية النمو بحيث تنمو الكوب الصغيرة وتصبح كوباً كبيراً .

قصعة المخلوق نجسد وتبقى على حالها ولا تتج مثلها ، ولكن صنعة الله سبحانه وتعالى تختلف ، ذلك أنه خلق من غير موجود .. بمعنى أنه ليست الصناعة فقط من خلقه ، ولكن المادة أيضاً من خلقه ، وليست الصناعة على غرار شيء موجود .

هذا هو الفارق بين صنع الخالق وصنع المخلوق .. إن صنعة الله عز وجل تنمو بذاتها وتتكاثر ذاتياً فتعطي مثلها ، والمخلوق لا يستطيع أن يفعل ذلك ، إن الله سبحانه وتعالى خلق من لا شيء ، وأنت خلقت من أشياء موجودة .

إننا إذا أردنا الطعام مثلاً نأتي الأرض نحراثها ونزرعها ، ثم نحصد ونطحن ونخبز ونعد الطعام .

إذن : أنا أخذت من كوى الله بالفكر الذي أعطاه لي ، والطاقة التي زودني بها ، وكل هذه الأشياء موهوبة من الله ، وكل ما فعلته أنني استخدمت موجوداً .. ولكن الأجل في الوجود أنا لم أت به ، ذلك أن الخلق الأول من الله سبحانه وتعالى ..

حبة القمح التي زرعتها وأنشبت لك المحصول من أين حثت بها ؟ من المصقول الذي قيل : أرو من أين أتيت بالمصقول الذي قيل : من ذلك الزرع الذي زرع منذ عامين ! وتظل تمضي في تتبع حبة القمح

طلاقة القدرة .. وليس الأسباب

التي في ذلك لتصل إلى البداية ، وهي أنها من صنع الله عز وجل الذي أتقن كل شيء .

ولكن هل أوجدها الله سبحانه وتعالى من محضول سابق ؟ لا .. وإنما أوجدها من عدم ، وكذلك كل ما في الكون .. الإيجاد الأول من الله ، والله سبحانه وتعالى هدى الإنسان إلى أن يعرف خصائص هذا الوجود الأول ، ليأخذها وتعطيه وجوداً ثانياً وثالثاً ورابعاً وهكذا ، ثم بعد ذلك تدور دورة الحياة مرات ومرات ، واقرأ قوله تعالى :

﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ .. (٢١) ﴾ [الأنبياء]

ومما سبق يتبين لنا أن صفة الخلق لدى الله سبحانه وتعالى مطلقة ، فهو بخلة ما يشاء ، وقد أكد الحق سبحانه وتعالى طلاقة هذه الصفة بالعديد من الآيات القرآنية ، فقال عز وجل :

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٢٢) ﴾ [يس]

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ .. (٢٣) ﴾ [الأنبياء]

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ .. (٢٤) ﴾ [النور]

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ .. (٢٥) ﴾ [التقصص]

﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْئَةً يَخْلُقُ

مَا يَشَاءُ .. (٢٦) ﴾ [الروم]

﴿ أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ﴾ (٨١) ﴿ [سج]

﴿ لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء . . ﴾ (٨٢) ﴿ [الشورى]

ولا يظن أحد أن الطلاقة تتعلق بالصفات التي تحدثنا عنها فقط ،
وهي العلم والقدرة والخلق ؛ لأن الطلاقة وصف لجميع صفات الله عز
وجل ، فكل صفات مطلقة لا تدغمج للأسباب والقيود . ولا يحددها
حد .

فعرته جل وعلا مطلقة ، وسمعته مطلق ، وحكمته مطلقة ،
وبصره مطلق ، وعظمته مطلقة ، وعدله مطلق ، وكرمه مطلق ،
ورحمته مطلقة .

وقد حاول البعض التشكيك في طلاقة صفة الرحمة لدى الله عز
وجل فقالوا : إن رحمة الله ليست مطلقة . . وإلا لما أدخل أحدا جهنم !!
والحقيقة أن هذا فهم قاصر . . إذ إن رحمة الله قد شملت جميع
مخلوقاته ، منذ أن خلقهم من العدم المطلق ، وتكفل بتوفير مقومات
الحياة لهم من هواء وماء وطعام إلى غير ذلك مما لا نستطيع حصره ،
وفي مقابل ذلك طلب منهم عبادته وطاعته بما هو ميسور لهم من
العبادات ، وهذه العبادة ليست إلقياماً ببعض الأعمال وامتناعاً عن
بعض . . علماً بأن الالتزام بالفعل والامتناع عنه يكفل لهم حياة كريمة
هادئة ، ويحقق لهم الأمن والأمان وسعادة الدنيا والآخرة .

طاقة القدرة .. وليس الأسباب

فإذا أطاعوا الله فيما أمر به ونهى عنه فستشملهم رحمته في الآخرة
«...» . وأما من عصى ولم يعبد الله بما يتناسب مع
نعمه عليه ، فقد أسقط عن نفسه موجبات الرحمة في الآخرة ،
واستحق أن يعامله الحق عز وجل بمقتضى عدله المطلق ، والذي
يقتضى معاملة كل إنسان وفقاً لعمله في الدنيا .

ولو ساءل الله بين عباده في الحساب وأدّى كل المصالح فسيح
جناته ، لأصبح ظالماً لعباده الصالحين الطائعين .. فعده عز وجل
يقتضى أن يكون رحيم الدنيا ، فتشمل رحمته في الدنيا جميع
خلقه ، وأن يكون رحيم الآخرة فتشمل رحمته في الآخرة عباده
الصالحين الطائعين

بل إن تعذيب النفوس الشريرة التي دأبت على المعصية قد يكون
رحمة من الله سبحانه وتعالى لتطهير هذه النفوس من شرها
وعنادها ، فإذا أدخلها الجنة بعد ذلك دخلت طاهرة بما يتناسب مع
قداسة الجنة وقدااسة أهلها .

هناك صفات يختص بها الحق سبحانه وتعالى دون سواه . . كصفة الخلق من العدم المطلق ، وصفة الأحياء والإماتة والبعث والأزلية ، وهناك من الصفات ما هو مشترك بين الحق عز وجل ومخلوقاته .

فعلى سبيل المثال . . نحن نشترك مع الحق عز وجل في صفات مثل : السمع والبصر والقدرة والكلام وغيرها من الصفات .

لما الفرق بين الصفة في الله عز وجل والصفة في خلقه ؟

ذكرنا من قبل أن صفات الله عز وجل تبلغ منتهى الكمال . . بمعنى أن الصفة غير محدودة ، وغير مقيدة بالأسباب والقوانين . . فأنه قادر ، ولكن قدرتك محدودة . . تقدر على أشياء ولا تقدر على أخرى . وقدرتك تتميز مع تغيير مسرعة من هذه القدرة إلى قوة الشباب إلى ضعف الشيخوخة . . وقدرتك تنتهي بموتك . . بينما قدرة الحق جل وعلا مطلقة ؛ لأنه قادر على كل شيء ، كما أن قدرته تتحدى القوانين ، وقدرته لا تضعف أو تنقص أو تنتهي ؛ لأنها صفات الكمال المطلق الواجب لذاته عز وجل ، والكمال المطلق لصفاته يقتضي دوامها بلا نهاية .

والله سبحانه وتعالى قد حشا على التفكير في صفاته من حيث كمال هذه الصفات وطاقتها ، كما حشا على التفكير في مخلوقاته ؛ لأن التفكير فيها يلقينا إلى كمال صفاته ، وهذا يعني أنك حين تفكر في هذه الصفات ينبغي أن تجعل تفكيرك محكوماً بإطار "ليس كمثله شيء" .

ليس كمثله شيء

فلتؤمن بأن الله - عز وجل - سميع ، وأن سمعه مطلق ، ولكن إياك أن تفكر في كيفية هذا السمع . هل يسمع بأذن ؟ أم بأذنين ؟ أم ليس له أذن بالمرة ؟!

ولتؤمن أن الله - عز وجل - بصير ، وأن بصره مطلق ، ولكن إياك أن تفكر في كيفية هذا الإبصار . هل يبصر بعين ؟ أم بعينين ؟ أم ليس له عيون منادية بالمرة ؟

ولتؤمن أن الله يتكلم ، ولكن إياك أن تفكر في وسيلة الكلام لديه - عز وجل - هل يتكلم بلسان ؟ أم بدون لسان ؟ خذ جميع صفات الحق - عز وجل - في إظهار "ليس كمثله شيء" .

فليكن إيمانك بوجود الصفة وكمالها بعيداً عن كيفية تعلقها بالذات الإلهية العلية ، ومن صفات الحق سبحانه وتعالى أنه أحد ، أي : ليس له أجزاء (أي : غير مُركَّب) ، وهذا يتفق مع مقتضيات العقل ؛ لأن الذي له أجزاء يلزم أن يسبقه آخر ليجمع هذه الأجزاء مع بعضها البعض فيشج هذا المركَّب ، كما أن زوال أجزاء المركَّب يؤدي إلى زواله ، وكونه بأجزاء يجعله محدوداً بحدود أجزائه ، والله سبحانه وتعالى فوق التحديد .

ولننظر إلى قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ فَمَا بِهِمْ أَنِ﴾ (٢٠٠)

[الفتح]

وقوله تعالى :

﴿وَلَنُصَنِّعَ عَلَىٰ عَينِي...﴾ (٣٠٠)

[عنه]

وقوله تعالى :

﴿كُلُّ شَيْءٍ عَالِمٌ فَلَهُ أَنْ يَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ

وَالْإِكْرَامِ﴾ (٢٧) [الرحمن]

وقول المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم :

«إن يمين الله ملائ ، لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ، أرأيت ما اتفق منذ خلق السموات والأرض فبانه لم ينقص ما في يمينه ، وعرشه على الماء ، ويده الأخرى الفيض - أو القبض - يرفع ويخفض»

وفي الحقيقة أنه لا تعارض بين أحدية الله عز وجل وبين أن يكون له يد وعين ووجه ؛ لأن هذه استخدامات مجازية العرض منها التقريب ، فالحق سبحانه وتعالى يعلم أن قياسات الإنسان تكون على وفق ما يعلم من ذوات المخلوقات ، فأنت لا تتصور كيف يرى الله بلا عين كعينك ، ولا تتصور كيف يسمع بلا أذن كأذذك ، ولا تتصور كيف يتكلم بلا لسان كاللسانك ، ولذلك جاءت هذه الكلمات للتقريب .

وإذا تأملنا الآية الكريمة :

﴿كُلُّ شَيْءٍ عَالِمٌ فَلَهُ أَنْ يَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٢٧) [الرحمن]

نجد أن كلمة وجه لا تعني الوجه الذي نتصوره ؛ لأن الحق سبحانه وتعالى أشار إلى أن له يداً وأن له عيناً .

فحين يقول - جل وعلا : إن كل شيء سيقضي إلا وجهه . . فهل
يعنى ذلك أن يله ستقني ، وأل يله . . قتي . وأن عيتم ستقني ؟
بالقطع لن يحدث ذلك .

إذن : كلمة «وجه» هنا تعني «ذات» ، فيكون المعنى أن كل شيء
سيقضي عدا ذاته جل وعلا .

وقضلاً عن ذلك فقد حثنا الحق سبحانه وتعالى - كما جاء في
العديد من الأحاديث النبوية الشريفة - على التفكير في صفات الله عز
وجل والتفكير في مخلوقاته ، ونهى عن التفكير في الذات الإلهية
العلية . وأوضح أن عاقبة هذا التفكير هي الضلال والهلاك .
ومستحدثات عن عملة ذلك فيما يلي .

حيث أُلْحِقَ سبحانه وتعالى على التفكير في كلامه وصفاته ،
كما حث على التفكير في مخلوقاته بآيات ليسهل حصرها ، وذلك لأن
التفكير في مخلوقاته يلفت النظر إلى كمال صفاته ، وفي ذلك يقول
جل وعلا :

﴿ إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ
الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ
فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبِثِّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ
وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
[البقرة]

ويقول تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنْ
الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (٢٥) وَلَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لُحَةٍ
قَاتِنُونَ (٢٦) وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ
الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧) ضَرَبَ لَكُمْ
مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ
فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ (٢٨) [الروم]

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٢٩) [العنكبوت]

وقوله تعالى :

﴿ أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ... ﴾ (٢٤) ﴿

[الزُّمَر]

وقوله تعالى :

﴿ أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ... ﴾ (٧٨) ﴿

[الْأَنْعَام]

وقوله تعالى :

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَرَافَعْنَاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فَجْجٍ ... ﴾ (٦٧) ﴿

[ق]

وقوله تعالى :

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خَلَقَتْ ... ﴾ (٢٧) ﴿

[الْعَالَمِيَّة]

وقوله تعالى :

﴿ أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا أَنَا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ... ﴾ (٢٧) ﴿

[السَّجْدَة]

وقوله تعالى :

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالًا ... ﴾ (٢٠) ﴿

[الْمُحَمَّد]

لقد جعل الحق سبحانه وتعالى التفكير والتدبر في مخلوقاته وصفاته وكلامه فريضة على كل إنسان ، فإذا كان الحق سبحانه وتعالى حريصاً على انطلاق فكر المؤمن بهذه الكيفية ، فما الحكمة من النهي عن التفكير في ذاته عز وجل من خلال عدة أحاديث نبوية شريفة ، نذكر منها قول المصطفى ﷺ : **التفكروا في صفات الله ، ولا تفكروا في ذاته فتضلوا** .

الحكمة واضحة جلية . . فالحق سبحانه وتعالى إذا أمر بشيء ، فثب أن في فعله خيراً لفاعله ولمن أحاط به ، ولا ينهى عن شيء إلا وتجد من جراء فعله شراً بفاعله وبمن أحاط به ، فقد أمرنا عز وجل بإيتاء الزكاة ، وأمرنا بالتصدق على الفقراء والمساكين ، وأمرنا أن نصدق في القول والعمل ، وأن ندفع السيئة بالخيصة ، وغير ذلك من الأوامر .

فإذا تأملت هذه الفضائل وأثرها على المجتمع عامة والفرد خاصة لعلمت الحكمة من الأمر بفعلها .

وقد نهانا عز وجل عن قتل النفس بغير حق ، والسرققة والزنا وشرب الخمر والغيبة والنميمة والكذب ، وأن ندخل البيوت بغير إذن أهلها ، وغير ذلك من النواهي .

فإذا تأملت هذه النواهي وما في تركها من أثر حميد على تاركها وعلى من أحاط به لأدركت الحكمة من النهي عنها .

وإذا تأملت الأوامر والنواهي تلاحظ أن الحق سبحانه وتعالى لا يأمر إلا بمستطاع . . فإذا كانت القاعدة أنه عز وجل لا يأمر أو ينهى إلا عن

فكر... ولا تفكر

شيء يستطيع الإنسان فعله أو الامتناع عنه ، وأن الخير لصيق بالعمل في الأوامر وبالامتناع في النواهي . . فما الحكمة إذن من النهي عن التفكير في الذات الإلهية العلية؟

للإجابة عن هذا السؤال نقول : إن الله سبحانه وتعالى حين أمرنا بالتفكير في مخلوقاته . . أمرنا بذلك لأنه يعلم أن التفكير في المخلوقات يؤدي إلى الإيمان بكمال الصفات . . إذ إن كل صفة من صفات الحق - عز وجل - لها ما يدل على وجودها وكمالها في هذا الكون الفسيح .

فكان الأمر إذن لحكمة . . ألا وهي تيسير الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى بكمال صفاته ، وفي هذا خير عظيم للإنسان ؛ لأن الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى وكماله ينشئ في قلب الإنسان محبة الله عز وجل ، وفي ضميره الشعور بالامتنان . وهذا يقوده إلى الالتزام مع الله بطاعته واجتناب معصيته ؛ ولذلك يقول الحق عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۚ ﴾ (٢٨) ﴿ فَأَطِيعُوا ﴾

فإذا انتقلنا إلى النهي عن التفكير في ذاته وجدنا الحكمة جلية . . لماذا؟ لأن العقل البشري في علمه محدود بحدود المحيط الكوني . . هكذا أراد الله سبحانه وتعالى ، والذات الإلهية العلية خارج هذا النطاق ، فيكون التفكير فيها خارجاً عن نطاق العقل البشري . . وبذلك يكون التفكير إجهاداً ليس من ورائه طائل .

الأمر الثاني : أن الحق سبحانه وتعالى كما ورد في الآية الكريمة :

ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .. (١١) [الشورى]

لو كان له شبيه لجاز أن تصور ذاته عز وجل من خلال هذا التشابه ، ولكن حاشا لله أن يكون له شبيه ، أضف إلى ذلك أنك إذا تصورت الذات الإلهية فقد حددتها . وتحديدك لها يكون وقفاً لما تعلم من ذوات المخلوقات . والحق سبحانه وتعالى فوق التحديد .

واليك بعض الأمثلة على التفكير المنهى عنه : هل الله سبحانه وتعالى له جسم ، أم ليس له جسم ؟ هل هو على شكل إنسان أم على شكل آخر ؟ هل هو ذكر أم أنثى ؟ ما شكل يد الله عز وجل ؟ ما شكل عينه ؟ ما شكل وجهه ؟

كل هذه تساؤلات وتصورات تدخل في إطار التحريم للأسباب التي ذكرناها من قبل ، وعلى الرغم من هذا النهي عن التفكير في الذات الإلهية العلية ، إلا أن الحق سبحانه لم يشأ لصورته أن تكون معدومة في عقولنا ؛ لأنه يعلم أن الإنسان محكوم بماديته ، ويعلم أن الإنسان بحاجة إلى تصور عن حالته ، فحقق له هذه الرغبة في قوله تعالى :

الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصابح المصابيح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء وضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء

[التورى]

عليم (١٢)

فكر... ولا تفكر

فإذا شئت أن تتصور خالقك ، فتصور من النور قدر ما استطعت ،
لأنه سبحانه وتعالى نور السموات والأرض ، ونوره ليس كضوء
الأنوار التي نعرفها ، وإن كانت جميع الأنوار من نوره عز وجل ،
ويوم تقوم الساعة ويدخل المؤمنون جنات الخلد ، ساعثنى سيري
المؤمنون ربهم كما جاء في قوله تعالى :

﴿ وَجوهٌ يومئذٍ ناضرةٌ (٢٦) إلى ربها ناظرةٌ (٢٧) ﴾ [النور: ٢٦]

كما قال جرير رضى الله عنه وأرضاه : «كنا جلوساً عند النبي ﷺ
إذا نظر إلى القمر ليلة البدر ، قال : إنكم سترون ربكم كما ترون هذا
القمر لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل
ظلمة الشمس ، وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا» .

كما روى جرير أيضاً عن النبي ﷺ أنه قال : «إنكم سترون ربكم
عياناً» .

كما قال أبو هريرة رضى الله عنه وأرضاه : «إن الناس قالوا :
يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ : هل
تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : فهل
تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا : لا يا رسول الله ،
قال : إنكم ترونه كذلك» .

أنه عز وجل نور في نور ، ومن تألوا شرف استحقاق الجلاء رف
بهمهم الحق عز وجل لرؤية وجهه الكريم ، وساعثنى سيعرفون عياناً
بياناً المعنى الحقيقي لأحد أسمائه الحسنى وهو (النور) جل جلاله .

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِهِ ﴾

(الأعراف: 181)

... ﴿١٨١﴾ ﴿١٨٢﴾

الدعاء هو نداء من الأدنى إلى الأعلى . . . ولا يتوجه أحد بالدعاء إلا لمن قدرته فوق قدرات الداعي ، وبالنسبة لله عز وجل فإننا نتوجه إليه بالدعاء ؛ لأنه سبحانه وتعالى لا يستعصي عليه أمر في هذا الكون ، فإننا ، إن أردت شيئاً وعجزت أسبابك عن تحقيقه ، فإنك تستعيت بالأعلى في هذا الكون الذي لا تحكمه الأسباب ، فتقول : يا رب ، متوجهاً إلى تلك القوة والقدرة التي أوجدت هذا الكون وخلقت أسبابه . . . عله سبحانه وتعالى يحقق لك ما عجزت عن تحقيقه .

والدعاء دائماً يكون لطلب ما تعتقد أنه خير لك . . . وكل إنسان منا يريد الخير ولكنه يحدده من وجهة نظره ، وعلى قدر علمه . . . وهو يرى في المال خيراً فبطلبه ، ويرى في النفوذ خيراً ، فيسأل الله أن يعطيه .

والدعاء بالأسماء الحسنى يعني أن تدعو الله باسمه الذي يوافق طلبك كأن تقول : يا حكيم هبني حكمة . . . يا عزيز أعزني على خلقك . . . يا قادر هبني قدرة . . . يا عليم هبني علماً . . . يا رزاق وسع في رزقي . . . يا رحيم ارحمني في الدنيا والآخرة . . . يا كريم هبني من بحر جودك الواسع .

يا غفار اغفر لي ذنوبي ما ظهر منها وما بطن . . . يا عدل لا تمكن مني ظالماً . . . يا عفو ا عف عني . . . يا غني أغني بك عن سواك . . . يا هادي

الدعاء بأسماء الله الحسنى

اهدني إلى سواء السبيل .. يا مانع امنع عني كل مكروه .. يا حفيظ
احفظني من كل سوء .. يا صبور هبني صبراً على كل بلاء .. يا مسبح
اسمع دعائى .. يا مجيب آجب دعائى .

ومن الدعاء بالأسماء الحسنى أيضاً أن ترددها وتكررها ، كأن
تقول : هو الله الذى لا إله إلا هو ، الرحمن الرحيم ، الملك ،
القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر .. الخ .

تتفاضل .. ولا تتعارض

يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُّوا الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي أَسْمَائِهِ

[الأعراف]

.. (١١٠) ﴿

أصل الإلحاد في اللغة : العُدُولُ عن القصد ، والميل والجور

والانحراف ، وهو أيضاً بمعنى التكذيب والكفر ، ومنه قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَحْقِرُونَ عَلَيْهَا .. (١٢١) ﴿ [فصلت]

أي : الذين يكذبون ويكفرون بها ، وأيضاً قوله تعالى :

﴿ لِسَانُ الَّذِي يَلْحَدُونَ إِلَيْهِ أَعْمَىٰ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ .. (١٢٣) ﴿

[النحل]

والمعنى .. أن لسان الشخص الذي يميلون إلى أنه علم الرسول -

عليه الصلاة والسلام - القرآن أعجمي .. والقرآن بلسان عربي مبين ،

فكيف يتعلمه الرسول عليه الصلاة والسلام ممن لا يعرف العربية ؟ وقد

استخدم الحق جل وعلا الفعل (يلحدون) لأنه يعبر عن الميل عن الحق

وجادة الضوابط ، وليس مجرد الميل فحسب .

والإلحاد في أسماء الله الحسنى له أكثر من معنى .. فتكذيب

الإنسان لهذه الأسماء بما تعنيه من أوصاف يمثل إلحاداً بها .. قال الكافر

ملحد بأسماء الله الحسنى : لأنه لا يعقل أن يؤمن بصفات الله عز وجل

من أنكر وجوده ، ولا يشترط أن ينكر الإنسان جميع صفات الله عز

وجل حتى يصبح ملحداً في أسمائه .. فمن أنكر بعض الصفات فقد

تتكامل .. ولا تتعارض

أُخذ أيضاً في أسماء الله تبارك وتعالى ، ومن أقر بهذه الصفات وأنكر إطلاقها وبلغها غاية الكمال فقد أُلْحِدَ في الأسماء الحسنى .

هناك من الملحدين - على سبيل المثال - من يحاول أن يبرهن لك بأمثلة وأهبة على أن الحق سبحانه وتعالى لا يستطيع خرق النواميس الكونية ، أو يحاول إقناعك بأن صفات الحق جل وعلا ليست مطلقة ، وغير ذلك كثير .

وعن الإلحاد في أسماء الله عز وجل أن يتخطى الإنسان السهوى عن التفكير في ذات الله عز وجل ، وأن يخرج عن إطاره ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .. (١١) ﴿ الشورى ﴾

فيمحاول أن يرسم تصوراً للحق جل وعلا عن ذلك .. فيبحث عن شكل يد الله ، أو عين الله ، أو هرولة الله ، أو كيفية كلام الله .. فكل هذه الصور السابقة تمثل الإلحاداً في أسماء الله الحسنى تبارك وتعالى على أن يحيط بذاته غيره .

إن كمال الحق عز وجل ليس في كمال كل صفة من صفاته على حدة فحسب ، بل إن هناك تكاملاً بين هذه الصفات في مجموعها . - فضصفاته جل وعلا تتكامل فيما بينها بما يؤدي إلى الكمال المطلق الواجب له عز وجل الذي وصف به نفسه ، فهو تبارك وتعالى حلیم قهر غير ضعيف ، وقادر بلا ظلم ، ورحمته مطلقة بما لا يناقض عدله .

وقد ذكرنا من قبل أن بعضاً من الملحدين في أسمائه جل وعلا أراد أن يبرهن لنا على أن رحمة الله عز وجل ليست مطلقة .. فقال : كيف

تتعارض .. ولا تتعارض

تكون رحمة الله عز وجل مطلقة وهو يدخل بعضاً من خلقه جهنم وبئس المصير ؟ فلو كانت رحمته مطلقة لما أذاق أحداً من خلقه أي نوع من أنواع العذاب ؟

ونقول له ولطائفه : هل الرحمة المطلقة كما تفهمها تقتضي من الحق عز وجل أن يرحم رجلاً - على سبيل المثال - قضى حياته في بيع الخمور ، المخدرات ، تماقضها الأدوية المخصصة للعلاج ، وهو يعلم أنها تدمر شبيهاً في مستقبل العمر وتقتضي على إنسانيتهم بالقضاء على عقولهم ، . . . ويعلم أن دمارهم يؤدي إلى دمار أسرهم . . . وهو لا يبالي بكل ذلك في سبيل تحقيق رغباته وأحلامه الشيطانية . . . ولا يبالي بسخط الله عليه .

هل هذه هي الرحمة المطلقة ؟ وإذا كانت الرحمة المطلقة تعني ذلك ، فأين هذه الرحمة المطلقة حين أهملت آلاف الضحايا من هؤلاء الشباب وأسرهم ، وأهملت العناء الذي عاشوه من جراء ذلك الذي تسعى إلى استحقاقه للرحمة المطلقة ؟ وأين عدل الله الذي يقتضي أن يعامل كل إنسان بحسب عمله في الدنيا ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر ؟

إن طلاقة صفة الرحمة لا تتعارض مع وجوب تحقق موجباتها ، وإن كمال هذه الصفة يكون بما لا يتعارض مع كمال صفة العدل الإلهي ، فكما ذكرنا من قبل : إن صفة العدل الإلهي تقتضي من الله عز وجل أن يكون رحيم الدنيا ، فتشمل رحمته في الدنيا جميع

تتكامل .. ولا تتعارض

خلقه ، وأن يكون رحيم الآخرة فتشمل رحمته في الآخرة عباده الصالحين الطائعين .

وهكذا شأن جميع الصفات الإلهية العلية . . وهذا هو الكمال المطلق الواجب للحق عز وجل الذي نعمت به نفسه .

هناك أسئلة تلح على عقل الإنسان بوسوسة الشيطان منها : من خلق الله عز وجل ؟

نقول لمن يسأل هذا السؤال : إن الله عز وجل ليس مخلوقاً حتى تسأل عن خالقه . . فهو تبارك وتعالى موجود بلا بداية ، وأبدى بلا نهاية ، وهو سبحانه وتعالى بذاته وأسمائه وصفاته هو الخالق وما سواه مخلوق له .

والحق سبحانه وتعالى حين حرم التفكير في ذاته . . فلا أنه يعلم أن تفكير الإنسان يكون وفقاً لما يعلم من قوآت المخلوقات . . ويعلم أن تفكيره محدود بحدود محيطه الكوني ، في حين أن ما ينطبق علينا من أحكام لا ينطبق على الحق جل وعلا ؛ لأنه هو الذي خلق هذه الأحكام والقوانين . . فهو إله الهمم عليها .

فأنت حين تسأل عن من خلق الله عز وجل . . فإنك تسأل وفقاً لقاعدة في ذهنك ، وهي « أن لكل مخلوق خالقاً » . . ولكنك نسيت أن الحق سبحانه وتعالى هو الخالق لهذه القاعدة ، وحينما وضعها في نظامنا العقلي ، فتبدل وضعها ليلائمنا إلى وجوده .

إننا حين ننظر إلى الكون بما فيه من مخلوقات ندرك أنه لا بد أن يكون لها خالق . . ولكن هذه القاعدة لا تنطبق عليه سبحانه . . ولا يصح أن نقول : إنه إذا كان لكل مخلوق خالق . . فمن خلق الله عز وجل ؟ لأن الحق تبارك وتعالى ليس مخلوقاً حتى يكون له خالق .

فصفة الخلق من الصفات الذاتية للحق تبارك وتعالى ، والتي لا يجوز فيها العكس كالعزيز والحي . . إذ لا يصح ' أن نقول : إن من أسمائه

أسئلة شيطانية

أو صفاته الدليل أو الميت أو المخلوق . . فإذا اتسقى أنه عز وجل مخلوق . . فيكون سؤالك عن خلق الله عز وجل سؤالاً أحمق !

وكون الإنسان لا يستطيع أن يتخيل ويتصور حقيقة أن الله موجود غير مخلوق ، فهذا لا يعنى انتفاء هذه الحقيقة ، وقد قلنا من قبل : إنه يجب أن نغيز بين وجود الشيء وبين قدرتنا على إدراكه وتصوره وجود هذا الشيء ؛ لأن عدم إدراكنا أو تصورنا لوجود شيء ما ، لا يعنى أن هذا الشيء غير موجود .

فإذا حدثنا الله عن الملائكة وعن الجنة وعن النار وعن الشياطين ، فلا بد أن نصدق ليس بالدليل الإيماني فقط المبني على أن القائل هو الله عز وجل ، وإنما لأنه سبحانه وتعالى أعطى الدليل المادى لغير المؤمن به على أن الغيب موجود ، وإن لم نكن ندرك أو نتصور وجوده . . وأعطاء لنا من أحداث هذا الكون وما وقع فيه من ماديات .

فإذا أخذنا مثلاً الجراثيم . . تلك المخلوقات الدقيقة التي تهاجم جسد الإنسان وتصيبه بالمرض ، هذه الجراثيم التي عاشت مع الإنسان عمره كله . . إلا أننا في أول الحياة البشرية وحتى فترة قصيرة لم نكن نعرف عنها شيئاً . . ثم تقدم العلم وتوصل العلماء إلى الميكروسكوبات الإلكترونية التي تكبر حجم الشيء ملايين المرات . . فماذا رأينا؟ رأينا عجيباً . . ميكروبات لها شكل ولها حركة . . ولها حياة ولها تناسل وتكاثر . . ولها طريقة لتعترف جسم الإنسان وتفصل إلى الدم ، ولها تفاعلات مع كرات الدم .

عالم كبير لم نكن نعرف عنه شيئاً ، بل كان غيباً عنا منذ مائة سنة ، ومع ذلك ومع كونه غيباً عنا . . فهل هذا العالم لم يكن موجوداً؟

لا . . لقد كان موجوداً يؤدي مهمته في الحياة . . وكان العلماء في الماضي يعتقدون أن المرضى معناه أن الأرواح الشريرة قد تلبست جسد الإنسان ، وكانوا يضربون المرضى ، أو يكونون أجزاء من أجسادهم حتى تخرج هذه الأرواح الشريرة!

ثم تقدم العلم ، واستطعنا أن نرى رؤية العين هذه الجراثيم ، وهي تتحرك وتتناسل وتتحرق وتحارب ، بل استطعنا في تجاربنا العلمية أن ندخل هذه الجراثيم إلى أجساد الحيوانات ، لندرس دورة حياتها وكيفية القضاء عليها ، وهكذا أعطانا الله الدلائل المادية على أن ما هو غيب عنا موجود ويؤدي مهمته في الحياة . . وأن عدم إدراكنا وتصورنا لوجوده لا يعنى عدم هذا الوجود.

فيجب أن نفرق أيها السائل بين حقيقة أن الله موجود غير مخلوق ، وبين كونك لا تستطيع أن تتصور موجوداً غير مخلوق ، فالقوانين التي تحكم حياتك ومعادلاتك الرياضية والكيميائية والفيزيائية هي من خلق الله عز وجل ، ولا يمكن أن تنطبق عليه بحال من الأحوال.

ما هو الاسم الأعظم ؟

أما قالوا : إنه -مالك الملك- ، وقالوا : الحق القيوم ، وقالوا : إنه الاسم الذي إذا دُعي به الحق سبحانه وتعالى أجاب ، وكأنهم يريدون توظيف هذا الاسم !! ولكننا نقول : إن الاسم الأعظم للحق عز وجل هو الاسم الذي حوى جميع كمالات الأوصاف . . . إنه لفظ الجلالة (الله).

ولقد قلنا من قبل : إن الدعاء بالأسماء الحسنى يعنى أن تدعو الله بالاسم الذى يوافق طلبك ، كأن تقول : يا حكيم هبني حكمة ، يا عزيز أعزني على خلقك .

فإذا قلت : يا الله ، فعند دعوته عز وجل بجميع صفات الكمال الواجبة لذاته العلية ، والتي وصف بها نفسه . . . لفظ الجلالة (الله) .

إنه أيضا الاسم الذى ليس له مسمى فيه ، أى : شريك . . . هل شاهدت أو سمعت عن أحد سمى ابنه الله ؟ لم يحدث ، بل إن الكافرين المجترئين على الله عز وجل ، لم يجرو منهم أحد على فعل ذلك ، فالكافر غير متيقن من عدم وجود الله عز وجل ، فيخشى أن يسمي ابنه بلفظ الجلالة فيصيبه مكره ، أو يلقي مصرعه ، فالاسم الأعظم إذن هو : (الله) جل جلاله .

أشرنا من قبل إلى صفات مشتركة بين الله عز وجل ومخلوقاته . . .
وقلنا : إنه رغم هذا الاشتراك ، فإن صفات الحق جل وعلا تظل في
إطار (ليس كمثله شيء) ، فهو تبارك وتعالى منفرد بجميع صفاته
حتى تلك التي يتصف بها أحد من خلقه . . . فصفة المخلوق ما هي
إلا نصفة من صفة الخالق عز وجل ، ولا تضاهيها قدراً ولا نوعاً .

إذن : فإنفراد الله تبارك وتعالى بجميع صفاته هو القاعدة ، حتى
وإن كانت هناك صفات له جل وعلا موجودة في غيره من
مخلوقاته . . . ولكن ينبغي أن نلاحظ أن هناك صفات لله يختص
بها ، ولا توجد في أي من مخلوقاته بأي درجة من الدرجات ، فهي
صفات له وحده دون غيره .

ومن أمثلة هذه الصفات (الوحدانية) والتي تدل أن الله عز وجل
واحد ليس معه ثان على وفق صفاته الإلهية الكاملة ، لأنه ليس بنوع
تعدد أفراد ، فالإنسان مثلاً نوع . . . أي : يوجد منه العديد من
الأفراد تجمعهم وحدة الصفات ، وإن كانت صفاتهم تختلف من حيث
درجة الصفة ، ونوع الإنسان ينقسم إلى ذكر وأنثى ، وهم يتزاوجون
ويتكاثرون وينجبون سفاراً من نوعهم نفسه . . . وهكذا شأن جميع
المخلوقات .

أما الحق سبحانه وتعالى فهو ليس فرداً في نوع ، وإنما هو واحد
ليس له مثيل . فما هو بذكر ، وما هو بأنثى ، وما هو بأب ، وما هو
بأم ، وما هو بأخ ، وما هو بأخت ، وليس له كفواً أحد ، وفي ذلك
يقول تبارك وتعالى :

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) الإسلام من ٢

ومن الصفات الخاصة التي ينفرد بها عز وجل (الأزلية) .. فما هي الأزلية؟ وماذا نعني بقولنا: إن الله عز وجل أزلي؟

كلمة الأزلي في اللغة تعني: القديم ..

إذن: فالأزلي هو القديم ، وقولنا: إن الله عز وجل قديم يعني أنه تبارك وتعالى بلا بداية .. فكل مخلوق من المخلوقات له تاريخ ميلاد ، ولا يشد عن هذه القاعدة أحد ، وتاريخ ميلاد المخلوق هو تلك اللحظة التي أوجده الله عز وجل فيها .

والبشر يحسبون هذه اللحظة وفقاً للتقسيم الزمني للمكة الأرضية فنقول: إن فلاناً وُلد الساعة كذا من يوم كذا من شهر كذا عام كذا ، وهذه القاعدة تنطبق على جميع المخلوقات ، إلا أن البشر فقط - ولما اختصهم به الله تبارك وتعالى من العقل والفهم - هم الذين يهتمون بحساب هذه التواريخ ، ولكن الأمر يختلف بالنسبة لله عز وجل ، لأنه ليس له تاريخ ميلاد ، وهذا يوافق مقتضيات العقل ، لأنه جل وعلا ليس مخلوقاً حتى يظهر إلى الوجود في لحظة معينة .. فهو موجود غير مخلوق ، صفت إلى ذلك أن كلمتي البداية والنهاية مرئيلتان بالزمن وتدلان عليه .

فإذا كان الزمن نفسه مخلوقاً من مخلوقاته خاضعاً لأمره .. فكيف يحيط المخلوق بالخالق فيحدده ببداية ونهاية؟ فالخلق سبحانه وتعالى

كان ولم يكن معه شيء على الإطلاق ، ثم خلق الخلق ، وقد قال عز وجل في الحديث القدسي : «كنت كنزاً مخفياً فأردت أن أعرفه فخلقت الخلق فبى عرفوني» .

كما قال المصطفى ﷺ : « كان الله ، ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، وخلق السموات والأرض » .

فالأزلية إذن هي وجود الله تبارك وتعالى بلا بداية . . وهي بهذا المعنى لا تنطبق إلا عليه جل وعلا وحده دون غيره من المخلوقات ، فكل مخلوق له بداية محددة ، معلومة كانت أو مجهولة .

ومن الصفات الخاصة بالله تعالى (الأبدية) والتي تعنى أن الحق تبارك وتعالى موجود بلا نهاية ، وهذا يوافق مقتضيات العقل ؛ فكما قلنا في صفة الأزلية : إن البداية والنهاية كلمتان مرتبطتان بالزمان وتدلان عليه ، ثم كيف لا يكون أدياً بلا نهاية ، ومن أسمائه (الباقى) ؟ فالباقي اسم مشتق من الفعل (بقى) وهو يعنى : عاش . . فحين نقول : مات فلان وبقي فلان ، أى : عاش بعد وفاته ، وعاش من الشيء هو ما ظل منه موجوداً بعد هلاكه .

ومن ذلك قوله تعالى :

« وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً .. » (٦٧) .

[الكهف]

فالأعمال الصالحة فقط هي التي تبقى بعد وفاة صاحبها ، بل وبعد
فناء الكون بأكمله ، وقوله تعالى :

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (١٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (١٧) ﴾ [الرحمن]

أى : سيقضى الوجود بأكمله ، وتبقى الذات الإلهية على قيد الحياة
أزلاً وأبداً ، وكيف تكون للخالق نهاية ، ومن أسمائه (الوارث) جل
جلاله ؟ . والوارث اسم مشتق من (ورث) ، وورث فلان فلاناً أى :
ملك الحى منهما ما كان يملكه الميت قبل وفاته ، ومنه قوله تعالى :

﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ (١٦) ﴾ [النمل]

وقوله تعالى :

﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلَا تُنْفِقُوا عَلَيْهِ (١١) ﴾ [النساء]

وأورث زيد بكراً شبيهاً ، أى : أدخله فى ملكه وجعله ملكاً له ،
ولا يشترط موت زيد . . بل إن زيدا هو الذى أورث بكراً ووهبه هذا
الشيء ، ومنه قوله تعالى :

﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٦) ﴾ [الزخرف]

أى : تلك الجنة التى ملكتموها هبة من الله عز وجل ، وهذا هو
المعنى الصحيح ؛ لأن الجنة لم تكن ملكاً لأحد قبلهم حتى يرثوها بعد
ممانته ، والوارث من (ورث) يقتضى موت المورث ، واستمرار الوارث
على قيد الحياة ، ولذا فإن قوله تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ (٤٠) [مريم]

وقوله تعالى :

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾ (٩٣) [الحجر]

وقوله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ عِوَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (١٨٠) [آل عمران]

[آل عمران]

جميع هذه الآيات السابقة تفيد بقاء الحق جل وعلا بعد فناء الكون
يكل ما فيه من مخلوقات لله عز وجل ، فالأبدية إذن هي بقاء الله عز
وجل بقاء دائماً بلا نهاية.

ومن الصفات الخاصة أيضاً صفة (الأحادية) ، والتي تعنى أن الحق جل وعلا ليس (مركباً) أى : ليس له أجزاء ، وهذه الصفة أيضاً تتفق مع مقتضيات العقل ؛ لأن الذى له أجزاء ينبغي أن يسبقه من خلق أجزائه وركبها على هيئته - أى : خلقه - كما أن وجوده سيصبح مرتباً بوجود أجزائه وجوداً وعدمياً ، بالإضافة إلى أن وجود أجزائه له سيجعله محدوداً بحدود هذه الأجزاء ، والله سبحانه وتعالى فوق المحدود ، هذا فضلاً عن أن الأجزاء تكون من المادة ، والمادة مخلوق من مخلوقات الله عز وجل ، فكيف يحل الخالق فى أحد مخلوقاته؟

وجميع المخلوقات مركبة من أجزاء ، وهذا يتفق مع كونها مخلوقة من مواد سبق وجودها كالطين والنار أو النور ، ومحال أن تجد مخلوقاً غير مركب ؛ لأن غير المركب واحد فقط ، هو الله جل جلاله .

ومن الصفات الخاصة أيضاً صفة القبومية ، والتي تعنى أن الحق جل وعلا قائم بذاته ، ولا يحتاج إلى غيره فى قيامه .

ولكى تعرف معنى هذه الصفة انظر إلى أى مخلوق من المخلوقات . . هل تجده معتمداً على نفسه اعتماداً مطلقاً فى قيامه واستمراره حياؤه؟

الإجابة واضحة ، وهى أن جميع مخلوقات الله عز وجل قائمة بقبوميته تبارك وتعالى منذ أن خلقها من العدم المطلق وحتى ينتهى أجلها ، فتصعد إلى خالقها وبارئها ومصورها .

جميع المخلوقات - ما علمنا منها وما لم نعلم - وجدت بإيجاد الله لها ، ولو لم يخلقها لما ظهرت ، ولما صار لها وجود .

وليس ذلك فحسب ، بل إن استمرارية هذه المخلوقات في الحياة متوقفة على مقبوعات حياتها ، والتي هي أيضاً منحة وهبة من الله عز وجل .

خذ مثلاً : الإنسان .. نجد أن الحق تبارك وتعالى قد أعد له هذا الكون الخسيع ، والذي لم يستطع الإنسان إلى يومنا هذا كشف كل ما انطوى عليه من أسرار . ولم يحط بأطرافه المتراصة ، كما وفر له جميع مقبوعات الحياة التي يحتاج إليها .

الأوكسجين الذي يستخدمه في أكسدة المواد الغذائية ، والماء الذي يمثل معظم تكوينه ولا حصر لوظائفه في جسم الإنسان ، كما أتت له من الأرض غذاء الذي لا حياة له بدونه ، وخلق له الشمس التي توفر له الحرارة بالقدر الذي يحتاجه ، فلا تزيد لتقتله الحرارة ، ولا تنقص فتقتله البرودة ، ونعم الله لا تحصى ، كما قال تعالى :

﴿ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل ١٨]

فالإنسان قائم قياماً مطلقاً بالله عز وجل ، ومثله جميع المخلوقات ، فإذا انتقلنا إلى الحق جل وعلا ، هل هو قائم بنفسه أم قام بغيره ؟

فلا شك أن الإجابة واضحة ؛ لأن الله عز وجل لم يسبقه آخر حتى يكون الله معتمداً عليه في استمرارية وجوده ، فهو تبارك وتعالى قائم بذاته قياماً مطلقاً ؛ لأنه موجود غير مخلوق ، ولا يحتاج إلى غيره لا في وجوده ، ولا في بقائه . فلا حاجة له إلى طعام أو شراب أو

هواء أو مؤنس على الوحدة .. فهو قائم بذاته ، مقيم لغيره من المخلوقات ، ولا شريك له في هذه القنومية .

ومن الصفات الخاصة كذلك .. أنه عز وجل لا يحل في مكان ، والعدة ساطعة ، وهي أن المكان مخلوق من مخلوقاته ، والخالق لا يحل في مخلوق ، ولذلك يقول جل وعلا :

﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ .. (١٦٠) ﴿

[البقرة]

ومن الصفات الخاصة أيضاً .. أن حياته تبارك وتعالى حياة مطلقة لا تنقطع بموت ، كما لا تنقطع بنوم .. فجميع المخلوقات لا بد أن تنال قسطاً من الراحة بعد التعب .. فالإنسان يعمل نهاراً وينام ليلاً أو العكس ، كل حسب موافقت عمله وراحته .. وهكذا شأن جميع مخلوقات الله تتعب وتستريح ، تنام وتصحو ، ولكن الخالق عز وجل وهو الموصوف بالكمال المطلق لا يتعب فيحتاج إلى راحة ، ولا تجهدده اليقظة فيحتاج إلى النوم .

وهو كما قال عن نفسه :

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ .. (٢٥٥) ﴿

[البقرة]

إنه عز وجل لو أخذته سنة من النوم لاحتلت موازين الكون كلها ، وفي ذلك يقول جل وعلا :

﴿ إِنْ إِلَهُ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ يَزُولَا وَلَئِنْ الْوَاسِعُونَ أَكْثَرُ مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (١٠) ﴿

[فاطر]

ومن الصفات التي يختص بها عز وجل صفة الخلق من العدم المطلق . . فقد ذكرنا من قبل أنه تبارك وتعالى لم يضمن على عباده بصفة الخلق فأشركهم معه فيها حيثما قال :

﴿ فَبَارِكْ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (٢١) ﴿

[المؤمنون]

وحقيقة الأمر أن الإنسان يصنع ولا يخلق ، فهو يصنع معدوماً من موجود ، كالنجار يصنع المقعد من الخشب المقطوع من الشجر . . . وكالمطارد يصنع من معادن الأرض ، ويستخدم فيها القوة المستخرج من باطن الأرض ، وهكذا . فهذه أشياء لم تكن موجودة بالفعل ، ولكنها وجدت من أشياء موجودة .

أما خلق الله عز وجل فيكون من العدم المطلق ، والعدم المطلق يعني : اللاشيئية ، فالشيء يخلق من لا شيء مادي أو معنوي . . . أي أن المخلوق يوجد دون أن تكون له سابقة وجود مادية أو معنوية ، فهو مستحدث بكل ما فيه من مكونات ، سواء أكانت مكونات مادية فقط كما في حالة الجماد ، أم مكونات مادية ومعنوية كما في حالة الإنسان مثلاً .

وهي ذلك يقول جل وعلا :

﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (٢٢) ﴿

[الروم]

كما يقول عز وجل :

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً ﴾ (٢٣) ﴿

[الإنسان]

وقد يقول قائل : إن هذه الصفة توجد لدينا بدليل قوله تعالى :

﴿ فَبَارِكْ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝٦١﴾

المؤمنون:٦١

فنقول له : إن البشر يشتركون مع الحق جل وعلا في صفة الخلق . .
نعم ، ولكن حين نقول : الخلق من العدم المطلق ، فهي إذن من صفاته
وحده ، والتي لا يشاركه فيها أحد .

ومن صفاته الخاصة - جل وعلا - أنه يعلم ذاته علماً مطلقاً كما
يعلم غيره ، فالإنسان وهو أرقى المخلوقات وهو المتميز بالعقل ،
ورغم ذلك فهو لا يعلم كل شيء عن ذاته ، فهو يجهل روحه جهلاً
تاماً ، رغم أنها مصدر حياته ، وكل ما يعلمه عنها أنها مصدر حياته ،
وهو أيضاً لا يعلم عن جسده إلا القليل ، وحتى الأطباء الذين يلغوا
في هذا العلم قدراً كبيراً لا يعلمون كل شيء عن جسم الإنسان ،
ولو لا علم الطب لظل جسم الإنسان مغلقاً غامضاً عليه ، لا يعرف عما
يحدث بداخله شيئاً .

أما الحق تبارك وتعالى فهو يحيط بذاته إحاطة شاملة ، فيعلم كل
شيء عن نفسه ، يعلم أنه الله الذي لا إله إلا هو ، ويعلم صفاته علماً
تاماً ، يعلم أنه حي ، ويعلم أنه الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية ،
ويعلم أنه مسموع بصير قادر عالم متكلم رحمن رحيم خالق باريء
مصور إلى آخر صفات الكمال الواجبة له عز وجل ، والتي وصف بها
نفسه .

ومن صفاته الخاصة أيضاً أنه (فَعَالٌ لما يريد) .. فأنت تفعل ما تريد نعم .. ولكن ذلك في حدود قدرتك .. فتهب أنك أردت الوصول إلى سطح القمر بقفزة قدم واحدة .. فهل يمكنك تحقيق هذه الإرادة ؟

بالقطع لن تستطيع ؛ لأن قدرتك أدنى من أن تحقق إرادتك ، بل إن إرادتك نفسها محدودة بحدود محيطك الكوني ، ولكن الأمر مختلف بالنسبة للحق جل وعلا ؛ لأن إرادته ليست محدودة بحدود معينة .. كما أن إرادته نافذة ، فإذا أراد شيئاً فإنه يقول له : كن فيكون .

وفي ذلك يقول عز وجل :

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٨٢) [يس]

فالحق سبحانه وتعالى يقول : ﴿ أَنْ يَقُولَ لَهُ ﴾ رغم أن هذا الشيء لم يوجد بعد .. فهل هذا يعني أن هذا الشيء كان له وجود قبل أن يخلقه الله ؟

كلا .. إنما أراد تبارك وتعالى أن يلتفتا إلى أن هذا الشيء ما دام أنه أراد خلقه فهو لا محالة مخلوق ؛ لأنه لم ولا ولن يوجد ما يعرف الله عز وجل عن خلق هذا الشيء .. وفي هذا يقول تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَيَعِيدُ ﴾ (١٢) وَهُوَ الْعَظِيمُ الرَّحِيمُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَالٌ لِمَا يَرِيدُ (١٦) [البروج]

ومن الصفات الخاصة أيضاً (الأول ، والآخر) .. فهو عز وجل الأول بلا بداية ، والآخر بلا نهاية .

خلق الله .. وخلق الإنسان !

وقد يقول قائل : إن هاتين صفتان تطلقان على البشر ، كأن نقول : إن فلاناً هو الأول على مدرسته أو آخر التاجحين . فنقول له : لاحظ أنك حددت نوع الأولوية وخصصتها ، فقلت : إنه الأول على مدرسته أو جامعته ، فالتخصص واضح ، ولكن حين نقول : الأول على الإطلاق أو الآخر على الإطلاق ، فإنهما لا يتطابقان إلا على الله عز وجل ولا يشاركه فيهما أحد ، وأولوية الله أولوية زمنية وأولوية رتبة ، فهو أول من حيث الترتيب الزمني ، وأول من حيث رتبته كخالق موجود بكل صفات الكمال المطلق .

ومن هذه الصفات أيضاً : المحيى والمميت والباعث . ولا يظن أحد أن الله عز وجل يختص بهذه الصفات التي تحدثننا عنها فقط ، لأن صفات الحق تبارك وتعالى غير معلومة لنا بالكامل ، إذ إن هناك أسماء أسائر بها الحق عز وجل في علم الغيب عنده ، وهذه الأسماء مثل صفات مجهولة بالنسبة لنا ، فقد يكون من بين هذه الصفات صفات أخرى يفرد بها ، هذا فضلاً عن أنه تبارك وتعالى مفرد بجميع صفاته حتى تلك التي أشركنا معه فيها ، فلو أننا علمنا حقيقة الصفة لدى الله عز وجل ، والصفة عند مخلوقاته ، لقلنا : إن هذه صفة ، وهذه صفة أخرى .

خذ على سبيل المثال صفة وجود الله عز وجل .. ماذا تعني هذه الصفة؟

الإنسان له وجود ، ووجوده يبدأ منذ أن خلقه الله عز وجل ، ولتنتهى بموته ، ثم يعود إلى الوجود مرة أخرى يوم القيامة ، هذا من وجود الإنسان .

أما وجود الحق تبارك وتعالى فهو وجود بلا بداية وبلا نهاية ..
فهى صفة إذن يعجز العقل البشرى عن تخيلها ، فهل يستوى الوجود
الحقيقى للحق حل ، علا بالوجود المحدث للإنسان ؟

خذ صفة القدرة ، وتصور أقصى ما استطاع الإنسان أن يتوصل إليه
بقدرته .. ماذا يصنع ؟

طائرة .. صاروخ .. سيارة .. نقل الصوت والصورة ..

كيف توصل الإنسان إلى كل ما توصل إليه من مخترعات ؟

لقد توصل إلى ما توصل إليه مستخدماً إمكانياته العقلية .

من خلق عقل الإنسان بكل ما له من قدرة على الابتكار ؟ الحق عز
وجل هو الذى خلق عقل الإنسان بكامل قدراته .

لقد انتفت لدينا قدرة الإنسان ، واكتشفنا أنها مجرد صورة من
صور قدرة الله عز وجل .. فهل من خلال هذا الفهم يصح لنا أن
نقول : إنا شركاء لله عز وجل فى صفة القدرة ؟

قاله إذن منفرد بصفة القدرة أفراداً مطلقاً رغم مشاركتنا المجازية أو
الاسمية له فى هذه الصفة ، وهكذا شأن جميع الصفات .

وإذا كنا قد تحدثنا عن بعض الصفات التى يختص بها تبارك وتعالى
فذلك لأنه قد أشركنا معه فى سائر الصفات ، وإن كان هذا الاشتراك
شكلياً كما بينا ، أما الصفات التى دار حولها الحديث فهى صفات له
وحده حل وعلا ولا شراكة فيها أحد .. لا على سبيل المرافقة ،
ولا على سبيل المحازة .

نور السموات والأرض

النور الإلهي الذي يضيء الدنيا والأخرة ، ويضيء القلوب المؤمنة . . هذا النور أراد الحق عز وجل أن يضرب لنا مثلاً له بنىء منادى محصورىء ، فيقول عز وجل :

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نَوْرِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مَصْبَاحٌ الْمَصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارُ نُورٍ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٥)﴾ [النور]

كأن الله سبحانه وتعالى يريدنا أن نعرف بتشبيهه محسناً ، أن مثل نوره كمشكاة .

والمشكاة هي (الطاقة) . . والطاقة فحوة في الحائط بالبیت الريفی وتحسّ تضع المصباح في هذه الطاقة .

إذن : المصباح ليس في الحجرة كلها . . ولكن نوره مركّز في هذه الطاقة فيكون قوياً في هذا الحيز الضيق . . ولكن المصباح في زجاجة تحفظه من الهواء من كل جانب . . فيكون الضوء أقوى . . صافياً لا دخان فيه . . كما أن الزجاج يعكس الأشعة فيزيد تركيزه . . والزجاجة غير عادية ولكنها كوكب دري . . أي : أنها مضيئة بذاتها وكأنها كوكب . . ووقودها من شجرة مباركة يملؤها النور لا شرقية ولا غربية . . أي : يملؤها النور من الوسط ويخرج صافياً . . والزيت مضيء بذاته دون أن تمسه نار . . فهي نور على نور . . أيكون جزء من هذه المشكاة (الطاقة) مطلباً ؟ أم تحلىء بنور يهر العيون ؟

وهذا ليس نور الله تبارك وتعالى عن التشبيه والوصف ، ولكنه مثل
فقط لتقريب الصورة من الأذهان . . . فكأن نور الله يضيء كل ركن وكل
بقعة ولا يترك مكاناً مظلماً . . . فهو نور على نور .

ولقد أراد أبو تمام أن يمدح الخليفة أحمد بن المعتصم ، وكانت
العادة أن يشبه الخليفة بالأشخاص البارزين ذوي الصفات الحسنة ،
فقال :

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس
وكل هؤلاء الذين ضرب بهم الشاعر المثل كانوا مشهورين بهذه
الصفات . . . فعمر و كان مشهوراً بالشجاعة ، وحاتم كان معروفاً
بالسماحة والجود . وأحنف يضرب به المثل في الحلم . . . وإياس شعله
في الذكاء .

وهنا قام أحد الحاضرين وقال : الأمير أكبر في كل شيء عن شبهته
بهم .

فقال أبو تمام على الفور :

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلاً شروفاً في الندى والبأس
قاله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنيراس

يقول الحق جل وعلا :

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٍ﴾ (الشورى)

ويتضح من هذه الآية الكريمة أن رؤية الله تبارك وتعالى ممتعة في الدنيا ، وقد عوقب اليهود حينما قروا إيمانهم برؤية الله عز وجل جهرة ، وفي ذلك يقول الحق جل جلاله :

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَرَاكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (البقرة)

تاب الله عليهم بعد عبادتهم للعجل ، ولكنهم عادوا مرة أخرى إلى عبادتهم وماديتهم ، فهم يصرون على عبادة إله مادي ، إله يرويه ، ولكن الله عز وجل من عظمته أنه غيب لا تدركه الأبصار ، واقرأ قوله تعالى :

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (البقرة)

[الأنعام]

فَكُونُ الله عز وجل فوق إدراك البشر ، فهذا من عظمته تبارك وتعالى ، ولكن اليهود الذين لا يؤمنون إلا بالشيء المادي المحسوس ، لا تتسع عقولهم ولا قلوبهم إلى أن الله سبحانه وتعالى فوق المادة وفوق الأبصار ، وهذه النظرة المادية نظرة حمقاء ، والله تبارك وتعالى قد لفتنا إلى قضية رؤيته جهراً في الدنيا بقوله تعالى :

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (البقرة)

أي : أن الله جل جلاله وضع دليل القصة على وجود الله الذي لا تدركه الأبصار . . وضعه في نفس كل واحد منا ، وهي الروح الموجودة في الجسد . . والإنسان مخلوق من مادة تفتت فيها الروح فدفنت فيها الحياة والحركة والحس .

إذن : كل ما في جسدك من حياة . . ليس راجعاً إلى المادة التي تراها أمامك . . وإنما يرجع إلى الروح التي لا تستطيع أن تدركها إلا بآثارها . . فإذا خرجت الروح ذهبت الحياة وأصبح الجسد رمة . . فإذا كانت هذه الروح في جسدك ، وهي التي تعطيك الحياة لا تستطيع أن تدركها مع أنها موجودة داخلك . . فكيف تريد أن تدرك الله سبحانه وتعالى . . كان يجب أولاً أن نسأل الله عز وجل أن يجعلك تدرك الروح في جسدك ، ولكن الله تبارك وتعالى أخبرنا أن الروح من أمره .

واقرا قوله جل وعلا :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٢٢) هـ

[الأنبياء]

إذا كانت روحك وهي مخلوقة من مخلوقات الله عز وجل لا تدركها ، فكيف تطمع أن ترى خالقها . . وانظر إلى ذقة الأداء القرآني في قوله تعالى :

﴿ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهَ جَهَنَّمَ ۖ ﴾ (٢٤) هـ

[البقرة]

فكلمة «ترى» تطلق ويراد بها العلم مثلاً ، كما في قوله تعالى :

﴿أَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (١٤٣)﴾

[المزمل: ١٤٣]

أي : أعلمت . . . ولذلك جاءت كلمة (جهرة) لتنفى العلم فقط ،
وتطالب بالرؤية مجهورة واضحة يدركونها بحواسهم ، وهذا دليل
على أنهم متمسكون بالمادية ، والتي هي قوام حياتهم . . . نقول
لهؤلاء : إن سؤالكم يتسم بالغباء : لأنكم طلبتم طلباً وأنتم تعلمون أنه
محال قبل أن تطلبوه ، وكأنكم تطلبون باختياركم أن يحل عليكم
غضب وسخط من الله عز وجل .

والذي شجع اليهود على أن يقولوا ما قالوا . . طلب موسى عليه
السلام من الله سبحانه وتعالى أن يراه . . وقرأ قوله جل وعلا :

﴿قَالَ رَبِّ ارْنِيْ اَنْظُرْ اِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَّرَايَ وَلَكِنْ اَنْظُرْ اِلَى الْجَبَلِ فَاِنْ
اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرَايَ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى
صَعِقًا (١٤٤)﴾ [الأعراف: ١٤٤]

فلا بد أن نعرف أن قضية رؤية الله في الدنيا محسومة . . وأنه
لا سبيل إلى ذلك . فالإنسان في جسده البشري . . له قوانين في
إدراكاته . . ولكن يوم القيامة ستكون خلقاً جديداً بقوانين تختلف . .
ففي الدنيا لا بد أن نخرج مخلقات الطعام من أجسادنا . . وفي الآخرة
لا مخلقات . . وفي الدنيا يحكمنا الزمن ، وفي الآخرة لا زمن . .
إذ يظل الإنسان شاباً دائماً .

إذن : فهناك تغيير ، المقاييس هنا غير المقاييس يوم القيامة . . في
الدنيا بجسدك وإعدادك لا يمكن أن ترى الله . . وفي الآخرة يسمح

إعدادك وجسدك بأن يتجلى عليك الله سبحانه وتعالى ، وهذا قمة النعيم في الآخرة . . أنت الآن تعيش في آثار قدرة الله ، وفي الآخرة تعيش عيشة الناظر إلى الله تبارك وتعالى . وفي ذلك يقول الحق جل وعلا :

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ (١١) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (١٢) ﴾ [القيامة]

والإنسان في الدنيا قد اخترع آلات مكنته من أن يرى ما لا يراه بعينه المجردة ، يرى الأشياء الدقيقة بواسطة «الميكرو سكوب» والأشياء البعيدة بواسطة «التلسكوب» . . فإذا كان عمل الإنسان في الدنيا جعله يبصر ما لم يكن يبصره . . فما بالك بقدرة الله في الآخرة ؟

وإذا كان الإنسان عندما يضعف نظره يطلب منه الطبيب استعمال نظارة . . فإذا ذهب إلى طبيب أكثر مهارة ، أجرى له عملية جراحية في عينه يستغنى بها عن النظارة ويرى بدونها . . فما بالكم بإعداد الحق للخلق ، وبقدرته التي لا حدود لها في أن يعيد خلق العين بحيث تستطيع أن تتمتع بوجهه الكريم .

ولقد حسم الله تبارك وتعالى المسألة مع موسى عليه السلام بأن أراه العجز البشري ، لأن الجبل بقوة وجبروته لم يستطع احتمال نور الله عز وجل فجعله دكاً . .

وكان الله يريد أن يفهم موسى أن الله تبارك وتعالى قد حجب عنه رؤيته رحمة منه ؛ لأنه إذا كان هذا قد حدث للجبل حينما تجلى عليه الله عز وجل ، فماذا كان يمكن أن يحدث بالنسبة لموسى إذا كان عليه السلام قد صعد برؤية المتجلى عليه ، فكيف لو رأى المتجلى سبحانه ؟

رؤية الله في الدنيا ممتعة

وقوم موسى حينما طلبوا أن يروا الله جهرة أخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ، ، الصاعقة امانا ، ، اما عذاب ينزل . . المهم أنه بلاء نعمهم على طلب رؤية الله عز وجل جهرة في الدنيا ، وهو طلب - كما قلنا - مرغوض ؛ لأن رؤية الله تبارك وتعالى في الدنيا ممتعة .

يقول الحق جل وعلا:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤)﴾ [البقرة]

لقد بين لنا الحق عز وجل موقف اليهود والنصارى والمشركين من بعضهم البعض ومن الإسلام ، وكيف أن هذه الطوائف تواجه الإسلام بعداء ، ويواجه بعضها البعض بانهامات . . فكل طائفة منها تتهم الأخرى بأنها على باطل ، أراد أن يحذرهم تبارك وتعالى من الحرب ضد الإسلام وبخارية هذا الدين فقال:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ . . (١١٤)﴾ [البقرة]

مساجد الله التي تذكرو فيها بأسمائه الحسنى والتي نسجد له فيها . . والسجود علامة الخضوع ، وعلامة العبودية كما بينا . . فأنت تضع أشرف شيء فيك وهو وجهك على الأرض ، خضوعاً لله وخشوعاً له .

قبل الإسلام كان لا يمكن أن يصلي أتباع أي دين إلا في مكان خاص بدينهم ، مكان مخصص لا تجوز الصلاة إلا فيه . . ثم جاء الله بالإسلام فجعل الأرض كلها مسجداً ، وجعلها طهوراً . . وذلك توسيع على عباد الله في مكان التقائهم بربهم ، وفي أماكن عبادتهم له . حتى يمكن أن يلتقي بالله في أي مكان وفي أي زمان .

ذكر الله باسمائه الحسن

إنه سبحانه لا يحدد لك مكاناً معيناً لا تصح الصلاة إلا فيه . .
وأنت إذا أردت أن تصلي ركعتين لله بخلاف الفرض . . مثل صلاة
الشكر أو صلاة الاستخارة أو صلاة الخوف ، أو أي صلاة من السنن
التي علمها لنا رسول الله ﷺ ، فإنك تستطيع أن تؤدبها في أي وقت ،
فكأنك تلتقي بالله سبحانه وتعالى أين ومتى تحب .

فالحق سبحانه وتعالى قد وسّع من دائرة التقائنا به سبحانه .

ورسول الله ﷺ يقول : « أعطيت خمساً لم يُعطهن أحدٌ من الأنبياء
قبلي : نُصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجُعِلت لي الأرض مسجداً
وطهوراً . . فأَيُّما رجل أدركته الصلاة فليصل . . وأحلت لي الغنائم ،
ولم تحل لأحد من قبلي . . وأعطيت الشفاعة . . وكان النبي يُبعث إلى
قومه خاصة ويُبعث إلى الناس عامة » .

ولكن لماذا خصَّ الله عز وجل أمة محمد بهذه النعمة ؟

لقد خصهم بها ؛ لأن الإسلام جاء على موعد مع ارتفاعات العقل
وطموحات البشر . . كلما ارتقى العقل في علوم الدنيا كشف قوانين
وتغلب على عقبات . . وجاء بمبتكرات ومخترعات تغتفر عقول
الناس . . وتجدد لهم بعيداً عن الدين ، فيعيدون الأسباب بدلاً من خالق
الأسباب .

يريد الحق تبارك وتعالى أن يجعل عبادتهم له ميسرة دائماً حتى
يعصمهم من هذه الفتنة . . فإذا وجبت عليك صلاة مفروضة ،
أو أردت أن تصلي ركعتين لله عز وجل شكراً على نعمة أنعمها

عليك ، أو استخارة له في أمر من الأمور ، أو غير ذلك ، فتصلي في المكان الذي أنت فيه ؛ لأن الأرض صارت لنا مسجداً وطمهوراً . فلا تضطر إلى أن تذهب إلى مكان بعيد أو الطريق إليه شاقاً ، فينسيك هذا شكر الله والسجود له .

ولقد تحدث الحق جل وعلا عن المساجد في آية أخرى ، فقال :

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْقَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارُ نُورٍ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ فِي يَسُوتِ أَذُنُ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا اسْمُهُ ..

(٣٦) [التور]

ما هي هذه البيوت التي يرى فيها الناس نور الله تبارك وتعالى ؟

إنها المساجد . فعُمَّار المساجد وزُوَّارها المثابرون على الصلاة فيها هم الذين يرون نور الله . فإذا جاء قوم يجترئون عليها ، ويمنعون ذكر اسم الله فيها ، فمعنى ذلك أن المؤمنين القائلين على هذه المساجد ضعفاء الإيمان فتجراً عليهم أعداؤهم . ولو كانوا أقوياء ما كان يجرؤ عداؤهم على أن يمنع ذكر اسم الله في مساجد الله . أو أن يسعى في خرابتها فتهدم ولا تقام فيها صلاة .

وقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ .. (١١٤)﴾ [البقرة]

أى : أن هؤلاء ما كان يصح لهم أن يدخلوا مساجد الله إلا خائفين أن يقتل بهم المؤمنون من أصحاب المسجد والمصلين فيه . . فإذا كانوا قد دخلوا غير خائفين ، فمعنى ذلك أن وازع الإيمان فى نفوس المؤمنين قد ضعف .

وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ . سعاه : لا يوجد أحد أظلم من ذلك الذى يمنع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه . . فهذا هو الظلم العظيم .

وقوله تعالى : ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ أى : فى إزالتها أو بقائها غير صالحة لأداء العبادة . .

ويحدد الحق سبحانه وتعالى جزاء هؤلاء فى ختام الآية القرآنية فىقول جل وعلا :

﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ .. (١١٥)﴾ [البقرة]

[البقرة]

أى : لن يشركهم الله فى الدنيا ولا فى الآخرة . . بل يصيبهم فى الدنيا خزى . . والخزى هو الشيء القبيح الذى تكره أن يراه الناس عليه . . وهذا بوضع مدى غيرة الله عز وجل على بيوتهم .

وانظر إلى ما أذاقه الله ليهود المدينة الذين كانوا يسعون فى خراب مساجد الله . . لقد أخذت أموالهم وطردوا من ديارهم .

أما في الآخرة فإن أعداء الله سيحاسبون حساباً عسيراً لتطاولهم على مساجد الله ، وأيضاً هؤلاء المسويون إلى الإسلام الذين سكنوا على هذا ، وتحاذلوا عن نصرة دين الله والدفاع عن بيوته ، سيكون لهم عذاب ألیم على ما قصروا في حق الله تبارك وتعالى ، وفي حق بيوته التي يذكر فيها اسمه .

وإذا تأملت الآيتين السابقتين تجد أن الله عز وجل قد اختار من بين صور العبادة (ذكر اسم الله) رغم أن عبادة الله في المسجد متنوعة ، فتحن نقف ونركع ونسجد ونقرأ القرآن وغير ذلك كثير ، فحين يختار الله عز وجل من بين هذه الصور (ذكر اسم الله) فهذا لفت إلى أهمية وقيمة ذكره بأسمائه الحسنی . فقد قال تبارك وتعالى :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ .. ﴾ (١١٤) ﴿ البقرة ﴾
كما قال :

﴿ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ .. ﴾ (٣٦) ﴿ النور ﴾
والحق جل وعلا لم يحدد أي اسم من أسمائه الحسنی في أي من الآيتين الكريمتين ، فكلمة اسم في الآيتين قد وردت عامة ، فتشمل جميع أسماء الله الحسنی .

كما أن تشديد العقاب على هؤلاء الذين يسعون إلى خراب المساجد وإلى منع اسم الله من الانطلاق من أفواه المؤمنين لهو خير دليل على أن الحق جل وعلا يحب أن تذكره بأسمائه الحسنی ، وأنه عز وجل شديد العقاب لمن أراد أن يمنع هذا الذكر في أي بيت من بيوته الطاهرة .

الله .. فى كل مكان

الحق سبحانه وتعالى لا يختص بمكان .. لأنه لا يحل فى مكان ..
إذ كيف يحل بمكان ، والمكان مخلوق من مخلوقاته عز وجل .. وهل
يجوز أن يحل الخالق فى المخلوق ، وقد كان الخالق ، ولم يكن هناك
مخلوق على الإطلاق ، وفى هذا يقول تبارك وتعالى :

﴿ وَلِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوْا فِثْمُ وَجْهِ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١١٥)

[البقرة]

فهو سبحانه وتعالى موجود فى كل مكان دون أن يحل فى مكان ،
فأينما كنتم ستجدون الله مُقْبِلًا عَلَيْكُمْ بالتجليات ..

وقوله تعالى : ﴿ فِثْمُ وَجْهِ اللّٰهِ .. ﴾ (١١٥) .

[البقرة]

أى . هناك وجه الله .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللّٰهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ .. ﴾ (١١٥) .

[البقرة]

أى : لا تصفوا بمكان التقاء انكم بربكم .. لأن الله واسع موجود
فى كل مكان فى هذا الكون ، وفى خارج هذا الكون .

فإذا قال تبارك وتعالى :

﴿ وَلِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ .. ﴾ (١١٥) .

[البقرة]

فهذا لا يعنى تحديد جهة الشرق أو جهة الغرب فقط ، ولكنه
يتعداها إلى كل الجهات شرقها وغربها ، شمالها وجنوبها ..
والشمال الشرقى والجنوب الغربى ، وكل جهة تنجه إليها .

ولكن لماذا ذكرت الآية المشرق والمغرب فقط ؟

لأن كل الجهات تتحدد بشروق الشمس وغروبها .. فهناك شمال شرقي ، وجنوب شرقي ، وشمال غربي ، وجنوب غربي .. كما أن الشرق والغرب معروفان بالفطرة عند الناس ، فلا تجد أحداً يجهل من أين تشرق الشمس ولا أين تغرب .. فانت كل يوم ترى شروقاً وترى غروباً.

الله سبحانه وتعالى حين يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ..﴾ (١١٥) [البقرة]

ليس معناها حصر الملكية لهاتين الجهتين ، ولكنه ما يُعرف بالاختصاص بالتقديم .. كما تقول: بالقلم كتبت ، وبالسيارة أريت .. أي: أن الكتابة خصوص القلم ، والإنسان خصوص السيارة .. وهذا ما يُعرف بالاختصاص .. فهذا مختص بكذا ، وليس لغيره شيء فيه .

ولذلك فإن معنى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ .. أن الملكية لله سبحانه وتعالى لا يشاركه فيها أحد ..

وتغيير القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ليس معناه أن الله تبارك وتعالى كان في بيت المقدس ، ثم انتقل إلى الكعبة !!

إن توحيد القبلة ليس معناه أكثر من أن يكون للمسلمين اتجاه واحد في الصلاة .. وذلك تدريب على توحيد الهدف .. فيجب أن نفرق بين اتجاه في الصلاة ، واتجاه في غير الصلاة .

الله .. في كل مكان

الاتجاه في الصلاة يعنى أن تتجه جميعاً إلى مكان محدد اختاره الله لنا لتوجه اليه في الصلاة ، فالناس في جميع أنحاء العالم تتجه إلى الكعبة .. والكعبة مكان واحد لا يتغير ، وإن كان اتجاهنا إليها هو الذي يتغير ، فواحد متجه شمالاً ، وواحد متجه جنوباً ، وواحد متجه شرقاً ، وواحد متجه غرباً . كل منا يتجه اتجاهها مختلفاً حسب البقعة التي يوجد عليها من الأرض . . . ولكننا جميعاً نتجه إلى الكعبة ، ورغم اختلاف وجهائنا إلا أننا لنتقى على غاية واحدة ، وجهه واحدة . . . الكعبة .

الله جل جلاله يريدنا أن نعرف أننا إذا قلنا : (ولله المشرق) فلا نظن أن المشرق اتجاه واحد ؛ لأن كل مكان في الأرض له مشرق وله مغرب . . . فإذا أشرقت الشمس في مكان فإنها تغرب في مكان آخر تشرق عنده وتغرب عند غيري . . . وبعد ثانية تشرق عند قوم وتغرب عند قوم . . . فالشرق والغرب لا ينتهيان من على سطح الكرة الأرضية . . .

وبذلك يشمل قولنا : (المشرق والمغرب) جميع الاتجاهات التي يمكن أن ينظر إليها الإنسان .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٦٥) ﴿[البقرة]﴾

أى : يتسع لكل ملكه ، لا يشغله شيء عن شيء ، ولذلك عندما سئل الإمام علي كرم الله وجهه : كيف يحاسب الله الناس جميعاً في وقت واحد؟ قال : كما يرزقهم جميعاً في وقت واحد . . . لأن عمله سبحانه وتعالى : ﴿كَانَ فَيَكُونُ﴾ .

علاقة الله عز وجل بالكون هي علاقة الخالق بالمخلوق . . العابد بالمعبود . يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) ﴾ [الذاريات]

كما قال في الحديث القدسي :

"كنت كترأ مخفياً فأردت أن أعرف ، فخلقت الخلق في عرفوني"

ولا تعارض بين الآية الكريمة والحديث القدسي ؛ لأن العبادة تستلزم قبل أي شيء معرفة الله عز وجل حق المعرفة .

فالحق تبارك وتعالى هو الخالق الموصوف بصفات الكمال المطلق ، والكون مخلوق له ، والله جل وعلا هو المعبود الوحيد المستحق للعبادة ، والكون بكل ما فيه عابده مسبح بلا انقطاع . . الإنسان عابده ، والحيوان عابده ، والجمادات عابده ، والملائكة وغيرهم من المخلوقات - ما علمنا عنها وما لم نعلم - عابدون .

ومن هذه المخلوقات ما هو مشهور على العبادة ، ومنها ما أعطي حرية الاختيار في أن يعبد أو لا يعبد ، أن يطيع أو يعصى .

وينبغي أن نلاحظ أن الذين يعبدون الله مقهورين على العبادة هم الذين اختاروا ذلك ، والذين تحملوا الأمانة : قصار المجال مفتوحاً لهم أن يطيعوا أو يعصوا ، هم أيضاً الذين اختاروا ذلك ؛ لأن الله تبارك وتعالى خلق كونه كله على أساس الاختيار ، ولكن هناك من اختاروا مرة واحدة . . فاختاروا أن يكونوا مقهورين . . وهناك من اختاروا أن

بعطيتهم الله عز وجل الاختيار المتعدد ، بحيث أصبح لكل منهم اختيار حر بين الطاعة والمعصية طوال فترة حياته الدنيوية .

هناك الملائكة وهم يسبحون الله بالليل والنهار ، ولا يعصون الله ما أمرهم ، مقصداً لقوله تعالى :

﴿ يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ (٢٠) [الأنبياء]

وقوله سبحانه وتعالى :

﴿ لَا يَعصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٤) [التحريم]

الملائكة هم الذين يؤكل الله سبحانه وتعالى إليهم ما يشاء في كونه . . فكل شيء في الكون مؤكل به ملكٌ حسيماً يشاء الله جل جلاله . . منهم حملة العرش ، والملائكة المقربون إليه تبارك وتعالى ، والعمالون ، وملائكة الموت ، والملائكة المكلفون بالإنسان كالحفظة الكرام ، والذين يكتبون ما يفعله البشر من أعمال وغيرهم وغيرهم .

فكل أجناس الكون قد اختارت القهر ، وصارت مقهورة باختيارها هذا الإنس والجن . . فلماذا قرأنا قول الحق جل وعلا :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٧٧) [الأحزاب]

[الأحزاب]

نعرف أن السموات والأرض والجبال وغيرها من المخلوقات عرضت عليها الأمانة أو حرية الاختيار . . عرض عليها أن تكون

مختارة قادرة على الطاعة وقادرة على المعصية .. ولكن أجناس الكون ما عدا الإنس والجن رفضت الاختيار وقالت: يا رب ، لا نقدر على أنفسنا .. ولا نقدر على حمل الأمانة ، فاجعلنا يا رب مقهورين .

ولولا أن الله سبحانه وتعالى أخبرنا بهذا في كتابه العزيز .. لما عرفنا أن الأمانة عُرضت على السموات والأرض والجبال وغيرها ، وأنهم اختاروا أن يكونوا مقهورين ، ورفضوا حمل الأمانة التي حملها الإنسان .

ولكن عا هي الأمانة؟

الأمانة هي أن يأمّنك إنسان على شيء يودعه عندك ، وترده له عندما يطلبه بشرط ألا يكون هناك شيء مكتوب .. أو شهادة من الناس على أنه قد أودع عندك شيئاً .. فإذا أعطاك إنسان مثلاً ألف جنيه وأخذ إيصالاً أو شيكاً أو كمبيالة بالمبلغ ، فهذا لا يعتبر أمانة ، وإنما يكون إيداعاً عليه دليل .. وإذا أعطاك هذا الشخص هذا المبلغ ، ثم أشهد عدداً من الناس عليك ، فإن هذا لا يعتبر أمانة .. ولكنه إيداع عليه شهود .. أما إذا حدث هذا بينك وبينه دون شهود أو دليل فهذه هي الأمانة .. والله تبارك وتعالى عرض الأمانة على السموات والأرض والجبال ، ولكنها رفضت .. لماذا؟

لأنها أحسّت بعدم قدرتها على الأداء ، ذلك أنه إذا أودع عندك شخص مبلغاً من المال كأمانة .. قد تصادفك ظروف صعبة .. فتعتمد يدك إليه ، وتأخذ منه على أمل أن ترده .. وقد تنصرف في المبلغ كله ، وأنت تعتقد أنك ساعده الأداء قادر على رده .. ثم يأتي وقت الأداء فلا تجد المال ، وتكون قد ضيعت الأمانة .

ولكن الإنسان قبل أن يحمل الأمانة .. صَوَّرَ له عقله أنه قادر على أن يؤديها عاد طلب أدائها ، وأنه يستطيع أن يتبع منهج الله . . . يؤدي حق الله سبحانه وتعالى في الصلاة والشكر والعبادة وكل ما تكلفه الله به . . . وعندما يبدأ الرحلة ، وهي الحياة الدنيا أغراه الشيطان فانطلق في المعصية ، وأشرك بالله ثم عبد الأحجار والشمس والقمر والنجوم والحيوان والإنسان وغير ذلك فأضاع الأمانة . . . وعندما جاء الموت وهو وقت الأداء . . . قابل الله ، ولم يستطع أن يؤدي الأمانة التي حملها .

إذن : السموات والأرض والجيال وغيرها من المخلوقات التي نظن أنها حماد لا يعقل ، التضح أن لها حياة خاصة ، وإن كنا لا ندركها أو نشعر بها ، ولها عبادة ونسبح لا ينقطع ، وإن كنا لا نفقه هذا التسبيح . . . وقد أراد الحق جل وعلا أن يؤكد لنا هذه الحقيقة ، فقال تعالى :

﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) ﴾

[الحديد]

وكرر معنى هذه الآية في سورة الصافات :

﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) ﴾

[الصافات]

(١)

كما كررها في سورة الحشر :

سُبْحَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

[الحشر]

(١٦)

والآية تفيد العموم والشمول ، فكل شيء في السموات والأرض
يسبح لله عز وجل . وحتى لا يكون هناك تأويل ، ونجدد من يقول لنا :
إن المسيحين في هذه الآية الكريمة هم الكائنات العاقلة فقط . قطع
الحق جل وعلا الشك باليقين ، فقال تعالى :

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ

[الإسراء]

خَلِيقًا غَفُورًا . . . (١٧)

فليس هناك شيء إلا ويسبح لله عز وجل . . حيوان . . نبات . .
جماد . . جميع المخلوقات لا تقطع عن السبح ، الكون كله مخلوق
عابد ، يُقر بالفضل لهذا الخالق الموصوف بصفات الكمال المطلق ،
والذي أنعم عليه حينما أوجده من العدم المطلق . . وأنعم عليه حينما
وقر له بمقومات الحياة التي لا يجايلدها .

وهذه العبادة لا تحقق نفعاً لله عز وجل ، فلا طامعنا تزيد في
ملكه ، ولا معصيته تنقص من شأنه ، فهو الغني عن عبادة الكون ،
بل هو الغني عن وجود الكون بأكمله . . يقول تبارك وتعالى :

يٰۤاَيُّهَا النَّاسُ اَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ اِلَى اللّٰهِ وَاللّٰهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٨) اِنْ

يَشَآءْ يَدْهَبْكُمْ وَيَاۤتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٩) وَمَا ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ بِعَزِيزٍ (٢٠)

[فاطر]

كما أن هذه العبادة ليست إذلالاً ومناً على العباد ، وإنما هي أوامر ونواه ، الغرض منها الوصول بالإنسان إلى الرقي النفسي والبدني الذي يتناسب مع كونه خليفة الله في أرضه ، ويتناسب مع كونه المختص بالعقل دون سائر المخلوقات .

وفهم العلاقة بين الله عز وجل والكون على أنها علاقة الخالق بالمخلوق ، والعابد بالمعبود هو الفهم الصحيح الذي يتسجم مع الفطرة البشرية . فإذا وجدت من يحاول العبث بهذه العلاقة بأن يحولها عن وضعها الصحيح فاعلم أنه : إما جاهل وإما ذو فطرة مريضة . . . فالدنيا لها أهل . . وأهلها دوماً يلهثون خلف الشهوات . . فأعينهم لا ترى إلا المناصب ومصادر الثراء وغيرها من مطالب الدنيا . . ومثل هؤلاء يحرقون الكلم عن مواضعه دون أن يهتروا لهم ضمير .

وهؤلاء لم ينقطعوا على مر التاريخ . . فمنهم من جعل لله أنداداً . . ومنهم من جعلوا له شركاء . . ومنهم من جعلوا له أولاداً . . كل هذه صور لمن أرادوا العبث بحقيقة العلاقة بين الخالق والمخلوق . . العابد والمعبود .

ذكرنا فيما سبق أن علاقة الله عز وجل بالكون هي علاقة الخالق - الموصوف بالكمال المطلق - بالمخلوق .. علاقة العابد بالمعبود .. فما موقف الزمن من هذه العلاقة؟

ظن البعض أن الزمن له وجود أزلي كوجود الله ، وأنه حقيقة غير مخلوقة ، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى :

﴿ .. وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (١٧) [الحج]

فتحيلوا أن الله عز وجل له زمن خاص به ، وإن كان يختلف عن الزمان الخاص بنا من حيث المقدار .. فكان الزمن حقيقة لها وجودها مع الله منذ الأزل ..

ومولاه تقول لهم : لقد أعطاكم في فهم الآية ، ولو كان هذا هو المعنى المقصود لكان هناك تعارض بين الآية السابقة وبين قوله تعالى :

﴿ نَعْرُجُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (٢٠) [المعارج]

وبالفعل حاول المستشرقون استغلال هاتين الآيتين ، في الادعاء بأن هناك تناقضاً في القرآن الكريم .. إذ كيف يكون اليوم ألف سنة ، ويكون في نفس الوقت خمسين ألف سنة؟

نقول لهم : أنتم لم تفهموا اللفظة الإيمانية الكبيرة في هاتين الآيتين ، فإله سبحانه وتعالى يريدنا أن نفهم أنه خالق الزمن ، يخلق لكل حدث ما يناسبه ، فإذا أراد يوماً مدته ألف عام خلقه .. وإذا أراد

يوماً مدته مليون سنة خلقه . . فليس هناك قيود على قدرة الله جل جلاله .

إن الله تبارك وتعالى قد شاء أن يكون اليوم في الأرض أربعاً وعشرين ساعة ؛ ليناسب ذلك حياة الناس وطاقاتهم ؛ لأن الجنس البشري يناله التعب بعد ساعات . . فالإنسان لا يستطيع أن يعمل أكثر من ثماني ساعات أو عشر ، ثم بعد ذلك يضح محتاجاً إلى الراحة ، ليستطيع أن يجدد نشاطه ويبدأ العمل من جديد .

حتى أولئك الذين يعملون أربعاً وعشرين ساعة متواصلة لا يستطيعون تحدي طبيعة الخلق . . بل نحتاجهم محتاجين للنوم أربعاً وعشرين ساعة متواصلة .

إن الله سبحانه وتعالى - وهو خالق الإنسان وصانعه - جعل له ليلاً يوازي عدد ساعات حاجته إلى الراحة ويزيد قليلاً . . وجعل له نهاراً يوازي عدد ساعات حاجته إلى الراحة ويزيد قليلاً .

وهكذا ترى أن خلق الليل والنهار . . متناسب لقدرات الإنسان على العمل وحاجته إلى الراحة . . فكأن من تمام كمال الخلق تحديد عدد ساعات الليل والنهار بأربع وعشرين ساعة .

ولكن إذا كان من تمام الخلق أن يخلق الله سبحانه وتعالى يوماً مقداره ألف سنة ، فإنه جل جلاله يخلقه ويوجده بكلمة (كن) حتى يناسب ذلك اليوم المهام التي خلق من أجلها . . والأحداث التي ستقع

فيه ، فإذا كنا محتاجين إلى فترة زمنية نشعر في أحداثنا نحتاج إلى يوم مقداره خمسون ألف سنة ، خلق الله تبارك وتعالى لها يوماً مقداره خمسون ألف سنة . . فإن كنا محتاجين إلى ملايين سنة من الأحداث . . خلق لها الحق جل وعلا اليوم الذي يسعها . . بحيث يستمر اليوم مليون سنة .

إحصاء الأسماء الحسنی

أحصى الشيء في اللغة أى : عدّه ، ولكن الحق جل وعلا استخدم هذا الفعل بمعنى أكثر اتساعاً . فلم يستخدمه بمعنى العدد فقط ، وإنما بمعنى العدد مع الحفظ والإدراك لمفردات المعداد . . ويتضح ذلك من قوله تعالى :

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَتَسْأَلُهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٦٠)﴾ [المائدة]

فتجد أن الإحصاء في هذه الآية يشمل العدد ، كما يشمل مقابل النيان وهو الحفظ . .

أى : أن الله عز وجل قد عد عليهم أعمالهم وحفظها فلم ينس منها شيئاً . . كما استخدم الحق تبارك وتعالى هذا الفعل بمعنى العدد وإدراك المعداد ، كما في قوله جل وعلا :

﴿لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا . . (٦١)﴾ [الكهف]

فهو لا يحصر ويعد كل شيء فقط ، بل يحصره ويعدّه ، وهو مدرك لكميئته وقدره . . فهذه صغيرة وهذه كبيرة ، وهذه توائها كذا ، وهذه اثمها كذا . . ومنه قوله تعالى :

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا . . (٦٢)﴾ [الراهم]

فنعم الله تبارك وتعالى لا تحصى ؛ لأنكم وإن أحصيتُموها عدداً - وهذا مستحيل - فإنكم لن تستطيعوا تقديرها حق قدرها . . فأنتم لا تعلمون حقيقة هذه النعم كما يعلمها الحق جل وعلا . . فإذا عُدنا

إلى حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مَنْ أحصاها دخل الجنة».

وتسأل عن معنى إحصاء الأسماء الحسنى في هذا الحديث؟؟

فإننا نقول: إن إحصاء الأسماء الحسنى يعنى حفظها مع فهم معناها والتخلق بأدائها... فيجب على كل مسلم أن يتخلق بخلق الرحمة فيكون عوناً للمضعف والمريض والصغير وكل ذي حاجة... وأن يكون مصدر سلم لكل من حوله، فلا يكون سبباً لإثارة المشاكل والفتن بين الناس... وأن يكون مصدر أمن لهم من كل فزع... وأن يكون عدلاً في كل أفعاله وأحكامه... وأن يكون حليماً كريماً بجود قدر ما استطاع على الفقراء والمساكين... وأن يعفو عمن ظلمه ويدفع السيئة بالحسنة... وأن يكون نافعاً لغيره كنفعه لنفسه... وأن يكون معيناً للناس على نهج طريق الهداية... وأن يتحلى بالصبر على الجد والبلاء... فيجب على المسلم ألا يترك صفة من صفات الحق جل وعلا يمكن له أن يتخلق بها إلا فعل قدر استطاعته.

أسماء الله توقيفية

أسماء الله توقيفية لا مجال للعقل فيها وقد يتعقّلها العقل الراقى ؛ لأن الله منزّه عن كل نقص ، وله الجمال كله والجلال كله .

من هذا المنطلق أن يعلم العقل أن الكمال كامن في الكامل ، والجلال كامن في الجليل .

وعلى كل فيجب الوقوف فيها على ما جاء من الكتاب والسنة ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُورًا ﴾ (٢٤)

[الإسراء]

ويقنضى الإيمان بأسماء الله الحسنى الإيمان بالاسم ، وبما يدل عليه من المعاني والانفعالات بها ، والتخلّق بأخلاقها ، فتؤمن بأن الله رحيم ذو رحمة ، ورحمته وسعت كل شيء ، قدير ذو قدرة وهو القادر على كل شيء .

غفور ذو مغفرة يغفر الذنوب جميعاً ويعفو عن السيئات . وهذه الأسماء ، منها : ما يرجع إلى نفس الذات ، كقولك : ذات وقبور جود في شيء .

ومنها : ما يرجع إلى صفات المعاني كالعليم والقدير والسميع .

والثالث : ما يرجع إلى أفعاله نحو الخالق والرازق .

والرابع : ما يرجع إلى التنزيه كالقدوس والسلام .

والخامس : ما يدل على جملة أوصاف مثل المجيد والعظيم والصمد ، فإن المجيد من انصف بصفات متعددة من صفات الكمال فإنه موضوع للسعة والكثرة والزيادة .

ومنه : رب العرش المجيد صفة للعرش لسعته وعظمته وشرفه ، وبالتأمل قد نسأل أنفسنا سؤالاً : كيف جاء هذا الاسم بطلب الصلاة على رسوله ؟

إنه في مقام طلب المزيد والتعرض لسعة العطاء وكثرة دوائه .

السادس : صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر ، وذلك قدر زائد على مفرديهما مثل : الغنى - الحميد ، العفو - القدير ، المجيد . وهكذا عمامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن . فإن الغنى صفة كمال ، والحمد كذلك ، واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر فله ثناء من عناه ، وثناء من حمده ، وثناء من اجتماعهما .

وكذلك العفو القدير ، والحمد المجيد ، والعزير الحكيم .

أما صفات السلب فلا تدخل في أوصافه تعالى ، إلا أن تكون متضمنة لثبوت كالأحد المتضمن الفراده بالربوبية ، والألوهية ، والسلام المتضمن لبراءته من كل نقص .

وللأسماء الحسنى دلالات : دلالة مطابقة إذا فسرنا الاسم بجميع مدلوله ، ودلالة تضمن إذا فسرناه ببعض مدلوله ، ودلالة التزام إذا استدللنا به على غيره من الأسماء التي يتوقف هذا الاسم عليها .

أسماء الله توقيفية

فمثلاً : الرحمن دلالة على الرحمة ، والذات دلالة مطابقة ، وعلى أحدهما دلالة تضمن لأنها داخلة في الضمن ، ودلالة على الأسماء التي لا توجد الرحمة إلا بشيئها ، كالحياة والعلم والإرادة والقدرة ونحوها .

ودلالة التزام ، وهذه الأخيرة تحتاج إلى قوة فكر وتأمل ، فالطريق إلى معرفتها يحتاج إلى فهم اللفظ وما يدل عليه من المعاني فتتعمل به ، والانفعال به توحيد ، وفي توحيده فكر ، وفي الفكر ذكر ، ولذكر الله أكبر .

يقول ابن القيم ، وهو من أهل المعارف عن قوله الحق :

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الدِّينَ يَلْحَدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَاجِدُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٨٠)

(الأعراف)

والإلحاد في أسمائه والعدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها . . وهو مأخوذ من الميل كما يدل عليه مادته « لحد » فمنه اللحد ، وهو الشق في جانب القبر ، ومنه الملحد في الدين المائل عن الحق .

فالعرب كانت تُسمي الأصنام اللات من الألوهية ، العزى من العزير ، وتسميتهم الصنم إليها ، وهذا إلحاد فإنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم الباطلة .

وفي قول اليهود :

﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ

[الأنعام: ٦٤]

كَيْفَ يَشَاءُ... (٦٤)﴾

وَفِي قَوْلِهِمْ:

[ال عمران: ١٥٦]

﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنَاءُ... (١٥٦)﴾

وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته ، ومنها تشبيه صفاته

بصفات خلقه ، فكل هذا إلحاد وميل عن الاشتقاق .

يقول الحق سبحانه :

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتُ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفِدَ كَلِمَاتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ (١٠٤) ﴿

[الكهف]

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ... ﴾ (٢٧) ﴿

[الزمر]

فكل اسم له سره ، وله عطاؤه ، وله إشراقاته ، والأسماء كما ذكرت فى كتاب الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفاتحة : ١

١- ٣ نأخذ منها : ﴿ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (١) ﴿

[الفاتحة]

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ﴿

[الفاتحة]

٤- الرب : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ﴿

[الفاتحة]

٥- الملك : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (٣) ﴿

[البقرة]

٦- المحيط : ﴿ ... وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (١٩) ﴿

[البقرة]

٧- القدير : ﴿ ... إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٧) ﴿

٨- العليم : ﴿ ... فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ

[البقرة]

عَلِيمٌ ﴾ (٢٥) ﴿

٩- الحكيم : ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ

الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (٣٢) ﴿ [البقرة]

١٠- التواب : ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ

التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٣٧) ﴿ [البقرة]

١١- الباري : ﴿ فَتَوَبَّأُوا إِلَىٰ بَارئِكُمْ .. ﴾ (٤٤) ﴿ [البقرة]

١٢- البصير : ﴿ .. وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (٩٦) ﴿ [البقرة]

١٣- الولي : ﴿ .. وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٦٨) ﴿ [الشورى]

﴿ .. وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (١٠٤) ﴿ [البقرة]

١٤- النصير : ﴿ .. وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (١٠٧) ﴿ [البقرة]

١٥- الواسع : ﴿ .. إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١١٥) ﴿ [البقرة]

١٦- البديع : ﴿ بِدِيعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (١١٧) ﴿ [البقرة]

١٧- السميع : ﴿ .. رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١٢٧) ﴿ [البقرة]

١٨- العرير : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُرَكِّبُهُمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٢٩) ﴿ [البقرة]

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُرَكِّبُهُمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٢٩) ﴿ [البقرة]

١٢٠

﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبْنِهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٣٣) [البقرة]

٢١- الرؤوف : ﴿ .. إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لِرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٤٣) [البقرة]

٢٢- الشاكر : ﴿ .. وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٥٨) [البقرة]

٢٣- الغفور : ﴿ .. إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٧٣) [البقرة]

٢٤- القريب : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ (١٨٥) [البقرة]

٢٥- الحليم : ﴿ .. وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (٢٣٦) [البقرة]

٢٦- الخبير : ﴿ .. وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٢٣٤) [البقرة]

٢٧- الحى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ (٢٥٥) [البقرة]

٢٨- القيوم : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ (٢٥٥) [البقرة]

٢٩- العلى : ﴿ .. وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ (٢٥٥) [البقرة]

٣٠- العظيم : ﴿ .. وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ (٢٥٥) [البقرة]

٣١- الغنى : ﴿... وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ (٧٦:٣) [البقرة]

٣٢- الحميد : ﴿... وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (١٠٠:١) [البقرة]

٣٣- الوهاب : ﴿... وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ

الْوَهَّابُ﴾ (٨:٨) [آل عمران]

٣٤- الجامع : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ...﴾ (٩:٩) [آل عمران]

٣٥- القائم : ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ...﴾ (٣٣:٣) [الرعد]

٣٦- المالك : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ

مَنْ تَشَاءُ...﴾ (٢٦:٢٦) [آل عمران]

٣٧- الشهيد : ﴿... وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾ (٩٨:٩٨) [آل عمران]

٣٨- الناصر : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ مُوَلاُّكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ (١٥٠:١٥٠) [آل عمران]

٣٩- الوكيل : ﴿... فَرَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ

الْوَكِيلُ﴾ (١٧٣:١٧٣) [آل عمران]

٤٠- الرقيب : ﴿... إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٦:٦) [النساء]

٤١- الحبيب : ﴿... وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (٦:٦) [النساء]

- ٤٢- الكبير : ﴿ .. إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ (٣٤) [النساء]
- ٤٣- الغفور : ﴿ .. إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا غَفُورًا ﴾ (٦٣) [النساء]
- ٤٤- المقيت : ﴿ .. وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْبِتًا ﴾ (٨٤) [النساء]
- ٤٥- الرزاق : ﴿ .. وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (١١٤) [المائدة]
- ٤٦- الفاطر : ﴿ قُلْ أَغْيَرُ اللَّهُ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ .. ﴾ (١٤) [الأنعام]
- ٤٧- القاهر : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ (١٨) [الأنعام]
- ٤٨- العادر : ﴿ .. قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٧) [الأنعام]
- ٤٩- الحق : ﴿ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ .. ﴾ (٦٢) [الأنعام]
- ٥٠- عالم الغيب والشهادة : ﴿ .. عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ
الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ (٧٣) [الأنعام]
- ٥١- الخالق : ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ
فَاعْبُدُوهُ .. ﴾ (٦٠) [الأنعام]
- ٥٢- اللطيف : ﴿ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ .. ﴾ (١٠٥) [الأنعام]

٥٣- الْحَكَمُ : ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۖ ﴾ (٦١٤) [الأنعام]

٥٤- الصَادِقُ : ﴿ ... ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ (١٤٦) [الأنعام]

٥٥- الْوَلِيُّ : ﴿ ... فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ (٤٦) [الأنفال]

٥٦- الْقَوِيُّ : ﴿ ... إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٦٢) [الأنفال]

٥٧- الْحَفِيزُ : ﴿ ... إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ ﴾ (٥٧) [هود]

٥٨- الْمَجِيبُ : ﴿ ... فَاسْتَعِظْهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيمٌ سُجُودٌ ﴾ (٦١) [هود]

٥٩- الْمَجِيدُ : ﴿ ... رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مُجِيدٌ ﴾ (٧٣) [هود]

٦٠- الْوَدُودُ : ﴿ ... إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ (٩٠) [هود]

٦١- الْمُسْتَعَانُ : ﴿ ... فَصَبِرْ جَمِيلًا وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ (١٨) [يوسف]

٦٢- الْغَالِبُ : ﴿ ... وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٠) [يوسف]

٦٣- الْقَهَّارُ : ﴿... أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ

الْقَهَّارُ (٣٩)﴾ [يوسف]

٦٤- الْحَافِظُ : ﴿... فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٥٥)﴾

[يوسف]

٦٥- الْمُتَعَالَى : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى (٢)﴾ [الرعد]

٦٦- الْوَالِي : ﴿... وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ

دُونِهِ مِنْ وَّالٍ (١١)﴾ [الرعد]

٦٧- الشَّدِيدُ : ﴿... وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ

الْمِحَالِ (١٦)﴾ [الرعد]

« لَطِيفَةٌ »

هذا الاسم الحسن ذكر في رواية زهير « من أمرار القرآن العظيم أن ينزل هذا الاسم (الشديد) في الآية الثالثة عشرة من السورة الثالثة عشرة من الجزء الثالث عشر من الكتاب الكريم » ذلك بأن سورة الرعد هي السورة الثالثة عشرة حسب الترتيب في المصحف »

٦٨- الْوَارِثُ : ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (٢٤)﴾

[الحجر]

٦٩- الْخَلَّافُ : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٥٧)﴾ [الحجر]

٧٠- الْكَفِيلُ : ﴿وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا... (٩١)﴾ [النحل]

٧١- المقتدر : ﴿.. وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ (٤٥) ﴿[الكهف]

٧٢- الحنيم : ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي

حَفِيًّا﴾ (٤٧) ﴿[عزيم]

٧٣- العفار : ﴿وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ

اهْتَدَى﴾ (٨٢) ﴿[طه]

٧٤- الهادي : ﴿.. وَإِنَّ اللَّهَ لِهَادٍ لِلدِّينِ أَتَمُّوهُ إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥١) ﴿[الحج]

٧٥- المبين : ﴿.. وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ (٢٥) ﴿[النور]

٧٦- النور : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ..﴾ (٣٥) ﴿[النور]

٧٧- الكريم : ﴿.. وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي

غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (٤٠) ﴿[النمل]

٧٨- المنتقم : ﴿وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا

إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ (٢٠) ﴿[الحجدة]

٧٩- الفتاح : ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ

الْعَلِيمُ﴾ (٢٦) ﴿[مبنا]

٨٠- الشكور : ﴿لِيُوفِّيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ

شَكُورٌ﴾ (٣٠) ﴿[فاطر]

٨١- الكافي : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۖ ﴾ (٣٦) [الزمر]

٨٢- العافر : ﴿ غَافِرُ الذَّنْبِ ۖ ﴾ (٣٧) [غافر]

٨٣- رفيع الدرجات :

٨٤- ذو العرش : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ

عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ (٥٤) [غافر]

٨٥- المحي : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا

الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ﴾ (٢٩) [فصلت]

٨٦- الرزاق : ﴿ إِنْ اللَّهُ غَوَى الرِّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (٢٠٠) [الذاريات]

٨٧- ذو القوة :

٨٨- المتين :

٨٩- البر : ﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ (٢٨) [الطور]

[الطور]

٩٠- الملك : ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ (٤٤) [القمر]

٩١- ذو الجلال والإكرام : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ

وَالْإِكْرَامِ ﴾ (٢٧) [الرحمن]

٩٢- الأول :

٩٣ - الآخر ٩٤ - الظاهر ٩٥ - الباطن

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٠)

[الحديد]

٩٦ - السلام ٩٧ - المؤمن ٩٨ - المهيمن

٩٩ - العزيز ١٠٠ - الجبار ١٠١ - المتكبر

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ

الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢٣)

[الحشر]

١٠٢ - المصور

﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٤)

[الحشر]

١٠٣ - الأعلى : ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (١)

[الأعلى]

١٠٤ - الأكرم : ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (٢)

[العلق]

١٠٥ - الأحد : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١)

[الإخلاص]

١٠٦ - الصمد :

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (٢) لم يلد ولم يولد (٣) ولم يكن له كفوا

أحد (٤)

[الإخلاص]

الأسماء الحسنى في القرآن

هذه الأسماء الشريفة والعظيمة التي ذكرت بنص القرآن ، وقال
الرسول ﷺ في حاشيته أن العدد تسعة وتسعون ، وأجمع علماءنا
الآن أن الأسماء الحسنى مددٌ بغير عدد عند عُرْف أهل الأسرار .

أما العدد المذكور في الحديث فهو لأهل الاختيار حسب المقدور
والقدرة مع المفهوم ، وعند التجلي يكون المدد بغير عدد .

يقول الحق سبحانه : ﴿ وَلِلّٰهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا
الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٨٠) [الأعراف]
ويقول الحق : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ ۝ (١٦٠) ﴾ [الإسراء]

ويقول جل جلاله : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ (٨) [طه]

ويقول الحق : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَىٰ ۚ ۝ (٢٤) ﴾ [الحشر]

والحسنى مؤنث الأحسن ، أى لله تعالى أحسن الأسماء ، وأجلها
وأعظمها وأشرفها لأشتمالها على معانى التقديس والتعظيم
والتمجيد ، وهى أحسن المعانى وأشرفها ، وعلى صفات الجمال
والجلال لله رب العالمين .

وقد سَمَّى الله تعالى بها نفسه ، وأمر أن يُدعى بها ويُسمى ، ونهى
أن يُدعى ويُسمى بغيرها مما لم يرد فى الشرع إطلاقه عليه تعالى ،
مثل : يا أبيض الوجه ، يا سخي ، يا عارف ، يا شجاع ، ونحو ذلك
فيغير هذا إلحاداً فى أسمائه وميلاً وانحرافاً فى حقيقته .

فمن أسمائه تعالى ما يستحقه بحقائقه تالحي قبل كل شيء ،
والباقي بعد كل شيء ، والقادر على كل شيء ، والعليم بكل شيء ،
والواحد ليس كمثله شيء .

ومنها : ما تستجيبه الألسن ، وتستقر معه القلوب ، كالغفور والشكور ، والحليم والرحيم .

ومنها : ما يوجب التخلف بها ، كالغفور .

ومنها : ما يوجب مراقبة الأحوال كالسميع والبصير .

ومنها : ما يوجب الإجلال كالعظيم والجليل ، والدعاء هو استدعاء العبد ربه العناية واستمداده إياه طلباً للمعون ، وهو سمة العبودية لله الواحد ، ومظهر الاحتياج والافتقار إليه ، والاعتراف بالبراءة من الخصال والقوة إلا لله العزيز الخبار .

وهو أعظم مقامات العبادة لله تعالى :

قال تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً .. ﴾ (٢٥) [الأعراف]

وقال : ﴿ واسألوا الله من فضله .. ﴾ (٢١) [النساء]

وقال رسول الله ﷺ : « ما من مؤمن ينصب وجهه لله ، يسأله مسألة إلا أعطاه الله إياها ، إما عجلها له في الدنيا ، وإما أخرها له في الآخرة » وقال أيضاً ﷺ : « الدعاء مع العبادة » .

والدعاء في كل حال ووقت يحتاج إلى الإخلاص ، فهو الذي يكشف السوء ، ويعجيب المضطر ، ويدفع البلاء ، ويمنح الطيرات ،

ويقول الحق سبحانه :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (١٨٦) ﴿

[البقرة]

ويُدعى تعالى بأسمائه الحسنی ، كما قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ۖ ۝ (١٨٠) ﴾

[الأعراف]

والله سميع الدعاء ، وقد ورد الدعاء في القرآن الكريم في غير موضع ، يقول الحق :

﴿ .. رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) ﴿

[البقرة]

﴿ .. رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (١) ﴿

﴿ .. رَبَّنَا لَا تَزَاخُدْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَاْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْمُرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢٨٦) ﴿

[البقرة]

﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ (١٩٣) ﴿

﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ (١٧٤) ﴿

[الدعبران]

للأسماء الحسنى فوائد لا تحصى ، وأسرار لا تُعد ، فقد قال النبي

ﷺ :

« مَنْ قَالَ حِينَ يَصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ : أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّجِّيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَقَرَأَ ثَلَاثَ آيَاتِ مِنْ سُورَةِ الْحَشْرِ (لَأَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ بِهَا سِتَّةَ عَشَرَ اسْمًا مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) وَكَلَّ اللَّهُ لَهُ سَعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى يَمُوتَ ، وَإِذَا مَاتَ فِي هَذَا الْيَوْمِ مَاتَ شَهِيدًا ، وَمَنْ قَالَ حِينَ يَمُوتُ كَانَ بِتِلْكَ الْمُنْتَزِلَةِ » .

وهذه الآيات الثلاث هي :

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) ﴿

[الحشر]

كلمة «إلاه» تعني : معبود . . وهي اسم مشتق من الفعل (أله) بالفتح . . فكل ما اتخذته الناس معبوداً منذ القدم يصح أن يطلق عليه اسم (إلاه) .

فمن الناس من اتخذ الشمس إلهاً . . أي : معبوداً ، ومنهم من اتخذ النار إلهاً ، ومنهم من اتخذ القمر إلهاً ، ومنهم من اتخذ البقر إلهاً .

وكلمة (إلاه) قد تُطلق ويُراد بها معناها فقط . . أي : (معبود) كما في قوله تعالى :

﴿ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ ۝٤٩ ﴾ [الأعراف]
وقوله تعالى :

﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۚ ۝٥٠ ﴾ [الأعراف]
وقوله تعالى :

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۚ ۝٥١ ﴾ [التوبة]

فالحق سبحانه وتعالى يؤكد في هذه الآيات أنه لا معبود إلا هو تبارك وتعالى .

وقد تُطلق كلمة (إلاه) ويُراد بها : الحق عز وجل ، كما في قوله تعالى :

﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴾ (٢٠) (ص ١)

عكلمة (إلاه) في هذه الآية تعني : المعبوداء ، وفي نفس الوقت يُراد بها : الحق عز وجل .

فإذا انتقلنا إلى لفظ الجلالة (الله) . هل هو لفظ مشتق من الفعل (أله) أم غير مشتق ؟

قيل : إنه اسم مشتق من نفس الفعل (أله) ، وأنه هو نفسه الاسم المشتق (إلاه) ودخلت عليه الألف واللام وحذفت الهمزة للتخفيف ، وقيل : إنه غير مشتق ، وإنما أطلقه الله عز وجل للدلالة على ذاته العلية .

ولكننا نقول : إن لفظ الجلالة (الله) سواء أكان مشتقاً أم غير مشتق ، فإنه عَلمٌ على واجب الوجود . أي : على الحق تبارك وتعالى بذاته وأسمائه وصفاته دون سواء من المعبودات الباطلة .

إن العلم إذا أطلق وأريد به سمي معيئاً . فإنه (أي : العلم) ينحلّ عن معناه الأصلي ويصبح علماً على شئ ما . . . كما إذا أطلقت على زنجية اسم (قمر) . . . فالقمر بالنسبة لهذه الزنجية قد انحلّ عن معناه الأصلي . وصار علماً عليها .

فلفظ الجلالة (الله) ورد في القرآن الكريم حوالي ألفين مرة . . . مرة لم يرد خلالها هذا اللفظ إلا للدلالة على ذات الحق جل وعلا ،

ولم يستخدم للدلالة على أى معبود آخر من المعبودات الباطلة مثل :
الشمس أو القمر أو النار أو البقر أو عيسى بن مريم .

كما أن الله تبارك وتعالى لم يستخدم لفظ الجلالة كوصف من
الأوصاف مثل سائر الأسماء ، وإنما استخدمه ليدل عليه بذاته وأسمائه
الأخرى وصفاته دلالة علمية .

فإذا أراد أن يصف نفسه بوصف معين ، أو يسب إلى نفسه فعلاً
معيناً ، أنى بلفظ الجلالة (الله) نعلم عليه ، ثم ألحقه بالوصف
أو الفعل الذى يريد . . كما تقول أنت : (أحمد وفور مهذب) .

يقول الحق جل وعلا :

﴿ . . . وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩) ﴾ [البقرة]

ويقول جل وعلا :

﴿ . . . وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١٠٥) ﴾ [البقرة]

[البقرة]

ويقول عز وجل :

﴿ . . . فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧) ﴾ [البقرة]

فلفظ الجلالة صار علماً على الذات الإلهية العلية . . علماً على
الحق - جل وعلا - ليدل عليه بذاته وأسمائه وصفاته دلالة علمية ،
ولا يستخدم للدلالة على غيره من المعبودات الباطلة ، وهو الاسم
الاعظم الذى حوى جميع كمالات صفاته ، والذى ليس له فيه مسمى
أى : شريك فى نفس الاسم .

والحق جل وعلا حين أنزل القرآن ، أنزله مقروناً باسم الله سبحانه وتعالى . . ولذلك حينما نتلوه فإننا نبدأ بنفس البداية التي أرادها الله تبارك وتعالى . . وهي أن تكون البداية باسم الله .

إن أول الكلمات التي نطق بها الرّوحى لمحمد ﷺ كانت :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) ﴾ [العلق]

وهكذا كانت بداية نزول القرآن الكريم ليصار من مهمته في الوجود هي باسم الله . . ونحن الآن نقرأ القرآن بادئين نفس البداية .

ولكن هل نحن مطالبون أن نبدأ فقط تلاوة القرآن باسم الله ؟ . . كلا . . إننا مطالبون أن نبدأ كل عمل باسم الله ؛ لأننا لا بد أن نحترم معطاء الله في كبره .

إنك حين تبدأ كل شيء باسم الله الرحمن الرحيم . . فإنك تجعل الله في جانبيك يُعينك .

ومن رحمته تبارك وتعالى أنه علّمنا أن نبدأ كل شيء باسمه تعالى ؛ لأن « الله » - كما قلنا - هو الاسم الجامع لكل صفات الكمال . . والفعل عادة يحتاج إلى صفات متعددة . .

فأنت حين تبدأ عملاً تحتاج إلى قدرة الله وإلى قوته وإلى عونه وإلى رحمته . . فلو أن الله سبحانه وتعالى لم يخبرنا بالاسم الجامع لكل الصفات لكان علينا أن نحدد الصفات التي نحتاج إليها ، كأن نقول باسم الله القوي ، وباسم الله الرزاق ، وباسم الله المجيب ، وباسم الله

القادر ، وباسم الله النافع . . إلى غير ذلك من الأسماء والصفات التي نريد أن نستعين بها . . ولكن الله تبارك وتعالى يجعلنا نقول : « بسم الله الرحمن الرحيم » . . الاسم الجامع لكل هذه الصفات .

على أننا لا بد أن نقف هنا عند الذين لا يبدأون أعمالهم باسم الله . . وإنما يريدون الجزاء المادي وحده .

إنسان غير مؤمن لا يبدأ عمله باسم الله ، وإنسان مؤمن يبدأ عمله كله وفي بالله الله ، كلاهما يأخذ من الدنيا لأن الله رب الجميع ، له عطاء ربوية لكل خلقه الذين استدعاهم للحياة ، ولكن الدنيا ليست هي الحياة الحقيقية للإنسان . . بل الحياة الحقيقية هي الآخرة . . الذي في بالله الدنيا وحدها يأخذ بقدر عطاء الله في الدنيا والآخرة . . ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ (١)

لأن المؤمن يحمد الله على نعمه في الدنيا . . ثم يحمده عندما ينجيه من النار والعذاب ويدخله الجنة في الآخرة . . فله الحمد في الدنيا والآخرة .

ورسول الله ﷺ قال :

« كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر » .

الـ

ومعنى أقطع أى : مقطوع الذنب أو الذيل . . أى : أنه عمل ناقص فيه شيء ضائع ؛ لأنك حين لا تبدأ العمل باسم الله قد يضيعك الغرور والطغيان بأنك أنت الذى سخرت ما فى الكون لخدمتك وينفعل لك .

وحين لا تبدأ العمل باسم الله . . فليس لك عليه جزاء فى الآخرة ، فتكون قد أخذت عطاءه فى الدنيا ، وبتت أو قطعت عطاءه فى الآخرة . . فإذا كنت تريد عطاء الدنيا والآخرة . . فأقبل على كل عمل باسم الله . . قبل أن تأكل قل : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ لأنه هو الذى خلق لك هذا الطعام ورزقك به . .

عندما تدخل الامتحان قل : بسم الله الرحمن الرحيم فيعينك على النجاح . .

عندما تدخل إلى بيتك قل : بسم الله ؛ لأنه هو الذى يسر لك هذا البيت . .

عندما تتزوج قل : بسم الله لأنه هو الذى خلق هذه الزوجة وأباحها لك . .

فى كل عمل تفعله ابدأ باسم الله ؛ لأنها تمنعك من أى عمل يغضب الله سبحانه وتعالى . . فأنت لا تستطيع أن تبدأ عملاً يغضب الله بسم الله . .

وكمما ينبغي على المسلم المؤمن أن يجعل لسانه رطباً بسم الله . . ينبغي عليه أيضاً أن يجعله رطباً بحمد الله عز وجل ؛ لأنه تبارك وتعالى

محمود لذاته ومحمود لصفاته ، ومحمود لنعمه ، ومحمود لرحمته ،
ومحمود لمنهجه ، ومحمود لقضائه ، الله سبحانه محمود قبل أن يخلق
من يحمده . ومن رحمة الله سبحانه وتعالى أنه جعل الشكر له في
كلمتين اثنتين هما : الحمد لله .

والعجيب أنك حين تشكر بشراً على جميل فعله تظل ساعات
وساعات تعد كلمات الشكر والثناء ، وتحذف وتضيف وتأخذ رأي
الناس حتى تصل إلى قصيدة أو خطاب مليء بالثناء والشكر . ولكن
الله سبحانه وتعالى - جلّت قدرته وعظمته ونعمه التي لا تحصى -
علّمنا أن نشكره في كلمتين اثنتين هما : « الحمد لله » .

ومن رحمة الله سبحانه وتعالى أنه علّمنا صيغة الحمد ، فلو أنه
تركها دون أن يحددها بكلمتين اثنتين لكان من الصعب على البشر أن
يجدوا الصيغة المناسبة ليحمّدوا الله على هذا الكمال الإلهي . فمهما
أوتى الناس من بلاغة وقدرة على التعبير ، فهم عاجزون عن أن يصلوا
إلى صيغة الحمد التي تليق بجلال المنعم . فكيف نحمد الله والعقل
عاجز عن أن يدرك قدرته أو يحصى نعمه أو يحيط برحمته . ورسول
الله ﷺ أعطانا صورة العجز البشري عن حمد كمال الألوهية ، فقال :

« لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » .

وكلمتنا « الحمد لله » - ساوى الله بهما بين البشر جميعاً ، فلو أنه
ترك الحمد بلا تحديد ، لتفاوتت درجات الحمد بين الناس بتفاوت
قدراتهم على التعبير .

الحمد لله

فهذا أمي - لا يقرأ ولا يكتب - لا يستطيع أن يجد الكلمات التي
يحمد بها الله ، وهذا عالم له قامة على التعبير يستطيع أن يأتي بصيغة
الحمد بما أوتي من علم وبلاغته .

وهكذا تتفاوت درجات البشر في الحمد طبقاً لقدرتهم في منازل
الدنيا ، ولكن الحق تبارك وتعالى شاء عدله أن يسوي بين عباده جميعاً
في صيغة الحمد له ، فـ « إنما في أول كتاباته في القرآن الكريم أن
نقول : (الحمد لله) ليعطي الفرصة لكل عبده بحيث يستوي المتعلم
وغير المتعلم في عطاء الحمد ، ومن أوتي البلاغة ومن لا يحسن
الكلام .

لذلك فإننا نحمد الله سبحانه ونهالي على أنه عالم لا يحد
نحمده ، ويظل الله دائماً محموداً ، ويظل العبد دائماً حامداً .

فقاله سبحانه وتعالى قبل أن يخلقنا خلق لنا موجبات الحمد من
النعم ، فخلق لنا السموات والأرض ، وأوجد لنا الماء والهواء ،
ووضع في الأرض أقواتها إلى يوم القيامة .

وهذه نعمة يستحق الحمد عليها ؛ لأنه جل جلاله جعل النعمة تسبق
الوجود الإنساني ، فعندما خلق الإنسان كانت النعمة موجودة
تستقبله ، بل إن الله جل جلاله قبل أن يخلق آدم أبا البشر ميقته الجنة
التي عاش فيها لا تعب ولا شقى ، فقد خلق فرحاً ما يأكله
وما يشربه وما يقيم حياته وما يتمتع به موجوداً وجاهراً ومعداً قبل
الخلق .

وحيثما نزل آدم وحواء إلى الأرض كانت النعمة قد سبقتهما ،
فوجداهما يأكلانه وما يشربانه . وما يقيم حياتهما . .
ولو أن النعمة لم تسبق الوجود الإنساني وخلقته بعده لهلك
الإنسان وهو ينتظر مجيء النعمة .

بل إن العطاء الإلهي للإنسان يعطيه النعمة بمجرد أن يُخلق في رحم
أمه ، فيجد رَحماً مستعداً لاستقباله وغذاء يكفيه طول مدة الحمل . .
فإذا خرج إلى الدنيا يضع الله في صدر أمه لبناً ينزل وقت أن يجوع ،
ويمتنع وقت أن يشبع ، وينتهي تماماً عندما تتوقف فترة رضاعته . .
ويجد أباً وأماً يقرآن له مقومات حياته حتى يستطيع أن يعول نفسه . .
وكل هذا يحدث قبل أن يصل الإنسان إلى مرحلة التكليف ، وقبل أن
يستطيع أن ينطق : الحمد لله .

وهكذا نرى أن النعمة تسبق المتعم عليه دائماً . . قال الإنسان حين
يقول : (الحمد لله) فلأن موجبات الحمد - وهي النعمة - موجودة في
الكون قبل الوجود الإنساني ، والله سبحانه وتعالى خلق لنا في هذا
الكون أشياء تعطي الإنسان بغير قدرة منه ودون خضوع له ، والإنسان
عاجز عن أن يقدم لنفسه هذه النعم التي يقدمها الحق تبارك وتعالى له
بلا جهد

فالشمس تعطي الدفء والحياة للأرض بلا مقابل وبلا فعل من
البشر .

الله

والمطر ينزل من السماء دون أن يكون لك جهد فيه أو قدرة على إنزاله .

والهواء موجود حولك في كل مكان تنفس منه دون جهد منك ولا قدرة .

والأرض تعطيك الثمر بمجرد أن تبذر فيها الحب وتسقيه . . فالزرع يثبت بقدرة الله .

والليل والنهار يتعاقبان حتى تستطيع أن تنام لتراتج ، وأن تسعى لحياتك . . لا أنت أتيت بضوء النهار ، ولا أنت الذي صنعت ظلمة الليل ، ولكنك تأخذ الراحة في الليل والعمل في النهار بقدرة الله دون أن تفعل شيئاً .

كل هذه الأشياء لم يخلقها الإنسان ، ولكنه وجدها في الكون تعطيه بلا مقابل ولا جهد منه !

ألا تستحق هذه النعم أن تقول : الحمد لله على نعمة تسيير الكون لخدمة الإنسان ؟

وآيات الله سبحانه وتعالى في كونه تستوجب الحمد . . فالخياة التي وهبها الله لنا ، والآيات التي أودعها في كونه تدلنا على أن لهذا الكون خالقاً عظيماً . . فالكون شمس وقمر ونجوم وأرض وكل ما فيه مما يفوق قدرة الإنسان ، ولا يستطيع أحد أن يدعي لنفسه . فلا أحد منهما بلغ علمه يستطيع أن يدعي أنه خلق الشمس ، أو أوجده .

النجوم ، أو وضع الأرض ، أو وضع قسوانين الكون ، أو أعطى
غلافها الجوى ، أو خلق نفسه ، أو خلق غيره .

هذه الآيات كلها أعطتنا الدليل على وجود قوة عظمى ، وهى التى
أوجدت وهى التى خلقت . . وهذه الآيات ليست ساكنة ، لتجعلنا فى
سكونها نساها ، بل هى متحركة لتلفتنا إلى خالق هذا الكون العظيم .

فبالشمس تشرق فى الصباح فتذكرنا بإسجاراته التى . . وتغرب . . فى
المساء لتذكرنا بعظمة الخالق . . وتعاقب الليل والنهار يحدث أمامنا كل
يوم عتلاًنا نلتفت ونفكر . . والمطر ينزل من السماء ليذكرنا بالبرهية من
أنزله . . والزرع يخرج من الأرض يُسقى بماء واحد ، ومع ذلك فإن
كل نوع له له ن وله شكل وله مذاق وله رائحة ، وله تكوين يختلف عن
الآخر ، ويأتى الحصاد فيختفى الثمر والزرع . . ويأتى موسم الزراعة
فيعود من جديد .

كل شئ فى هذا الكون متحرك ليذكرنا إذا نسينا ، ويعلمنا أن هناك
خالقاً ، ونستطيع أن نمضى فى ذلك بلا نهاية ، فنعم الله لا تعدُّ
ولا تُحصى . . وكل واحدة منها تدلنا على وجود الحق سبحانه
وتعالى ، وتعطينا الدليل الإيمانى على أن لهذا الكون خالقاً
مبدعاً . . وأنه لا أحد يستطيع أن يدعى أنه خلق الكون أو خلق شيئاً
مما فيه . . فالتقصية محسومة لله .

(والحمد لله) لأنه وضع فى نفوسنا الإيمان الفطرى ، ثم أيدى
بإيمان عقلى بآياته فى كونه .

كل شيء في هذا الكون يقتضي الحمد ، ومع ذلك فإن الإنسان
يمتدح الموجود وينسى الموجد . . فأنت حين ترى زهرة جميلة مثلاً ،
أو زهرة غاية في الإبداع . . أو أي خلق من خلق الله ، يشيع في نفسك
الجمال تمتدح هذا الخلق . . فتقول : ما أجمل هذه الزهرة ، أو هذه
الجوهرة ، أو هذا المخلوق ! !

ولكن المخلوق الذي امتدحته ، لم يُعْطِ صفة الجمال لنفسه . .
فالزهرة لا تدخل لها أن تكون جميلة أو غير جميلة ، والجوهرة لا تدخل
لها في عظمة خلقها . . وكل شيء في هذا الكون لم يضع الجمال
لنفسه ، وإنما الذي وضع الجمال فيه هو الله سبحانه وتعالى ،
فلا نخلط وتمدح المخلوق ونسى الخالق . . بل قل : الحمد لله الذي
أوجد في الكون ما يذكرنا بعظمة الخالق ودقة الخلق .

ومنهج الله سبحانه وتعالى يقتضي منا الحمد ، فهو تبارك وتعالى
أنزل منهجه ليرينا طريق الخير ، ويبعدنا عن طريق الشر .

فمنهج الله عز وجل الذي أنزله على رسوله قد عرفنا أن الله تبارك
وتعالى هو الذي خلق لنا هذا الكون وخلقنا . . فدقة الخلق وعظمته
تدلنا على عظمة خالقه ، ولكنها لا تستطيع أن تقول لنا من هو ،
ولا ماذا يريد منا ، ولذلك أرسل الله رسوله ، ليقولوا لنا : إن الذي خلق
هذا الكون وخلقنا هو الله تبارك وتعالى ، وهذا يستوجب الحمد .

ومنهج الله يبين لنا ماذا يريد منا ، وكيف نعبد - جل وعلا - وهذا
يستوجب الحمد ، ومنهج الله جل جلاله أعطانا الطريق وشرع

لنا أسلوب حياتنا تشريعاً حقاً . فالله تبارك وتعالى لا يفرق بين أحد منا . ولا يفضل أحداً على أحد إلا بالتقوى ، فكلنا خلق متساوون أمام عدله المطلق .

إذن : فشرعية الحق ، وقول الحق ، وقضاء الحق هو من الله ، أما تشريعات الناس فلها هوى ، تميز بعضاً عن بعض . وتأخذ حقوق بعض لمعطيتها لئلا يصرين . ولذلك نجد في كل منهج بشري ظلالاً بشرياً .

ولكن الله سبحانه وتعالى حين أنزل المنهج قضى بالعدل بين الناس . . . وأعطي كل ذي حق حقه ، وعلمنا كيف تستقيم الحياة على الأرض عندما تكون بعيدة عن الهوى البشري خاضعة لعدل الله ، وهذا يستوجب الحمد .

والحق سبحانه وتعالى ، يستحق منا الحمد ؛ لأنه لا يأخذ منا ولكنه يعطينا ، فالبشر في كل عصر يحاولون استغلال البشر . . . لأنهم يطمعون فيما بين أيديهم من ثروات وأموال ، ولكن الله سبحانه وتعالى يعطينا ولا يأخذ منا ، عنده خزائن كل شيء مصداقاً لقوله جل جلاله :

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ (٢١)

[الحجرات]

فالحمد لله سبحانه وتعالى دائم العطاء لخلقه ، والخلق يأخذون دائماً من نعم الله ، فالعبودية لله تعطيكم ولا تأخذ منكم شيئاً ، وهذا يستوجب الحمد . . .

والله سبحانه وتعالى في عطائه يحب أن يطلب منه الإنسان ، وأن يدعوه ، وأن يستعين به ، وهذا يستوجب الحمد ؛ لأنه يقينا الدل في الدنيا .

فأنت إن طلبت شيئاً من صاحب نفوذ ، فلا بد أن يحدد لك موعداً أو وقت الحديث ومدة المقابلة ، وقد يطبق بك فيقف لينتهي اللقاء . . . ولكن الله سبحانه وتعالى بابه مفتوح دائماً . . . فأنت بين يديه عندما تريد ، وترفع يدك إلى السماء وتدعوه فتستجاب ، وتسال الله ما تشاء ، فيعطيك ما تريده إن كان خيراً لك . . . ويمنع عنك ما تريده إن كان شراً لك .

والله سبحانه وتعالى يستوجب الحمد حينما يطلب منك أن تدعوه ، وأن تسأله فيقول :

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠) ﴾ [غافر]

ويقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٥٦) ﴾ [البقرة]

والله سبحانه وتعالى يعرف ما في نفسك ، ولذلك فإنه يعطيك دون
أن تسأل ، واقرأ الحديث القدسي :

يقول رب العزة :

«مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أُعْطِيَتْهُ أَفْضَلُ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ» .

والله سبحانه وتعالى عطاؤه لا ينفد ، وخزائنه لا تفرغ ، فكلما
سأله جل جلاله كان لديه المزيد ، ومهما سأله فإنه لا شيء عزيز على
الله سبحانه وتعالى ، إذا أراد أن يحقق لك . . واقرأ قول الشاعر :

حَسْبُ نَفْسِي عِزًّا بَأَنِّي عَبْدٌ يَحْتَفِي بِي بِلَا مَوَاعِيدَ رَبُّ

هُوَ فِي قُدْرَتِهِ الْأَعَزُّ وَلَكِنْ أَنَا أَلْقَى مَتَى وَأَيْنَ أَحِبُّ

إذن : عطاء الله سبحانه وتعالى يستوجب الحمد . . ومنعه العطاء
يستوجب الحمد ، ووجود الله سبحانه وتعالى الواجب الوجود
يستوجب الحمد . . قاله سبحانه يستحق الحمد لذاته .

وعندما نقول : (الحمد لله) فنحن نعبر عن انفعالات متعددة . .
وهي في مجموعها تحمل العبودية والثناء والشكر والعرفان . . وكثير
من الانفعالات التي تملأ النفس عندما تقول : (الحمد لله) كلها تحمل
الثناء العاجز عن الشكر لكمال الله وعظمته . . هذه الانفعالات تأتي
وتستقر في القلب . . ثم تفيض من الجوارح على الكون كله .

فالحمد ليس الفاظاً ترد باللسان ، ولكنها تمر أولاً على العقل الذي
يعني معنى النعم . . ثم بعد ذلك تستقر في القلب فيفعل بها . . وتستقل

إلى الجوارح فأقوم وأصلى لله شاكراً ، ويهتز جسدي كله ، وتفيض
الدعة من عيني ، ويثقل هذا الانفعال كله إلى من حولى .

ونحاول توضيح ذلك . .

هَبْ أَنْسَى فِي أَرْمَةِ أَوْ كَرْبٍ أَوْ مَوْقِفٍ سَبُودِي إِلَى قَضِيحَةٍ . .
وجاءني من يفرج كربى فيعطيني مالا أو يفتح لى طريقاً . . أول شيء
أنسى سأعقل هذا الجميل ، فأقول : إنه يستحق الشكر . . ثم ينزل هذا
المعنى إلى قلبي فيبهتز القلب إلى صانع هذا الجميل . . ثم تنفعل
جوارحي لأترجم هذه العاطفة إلى عمل جميل يرضيه ، ثم أحدث
الناس عن جميله وكرمه فيسارعون إلى الالتجاء إليه ، فتتسع دائرة
الحمد وتنزل النعم على الناس . . فيرون بنفس ما حدث لى فعوسع
دائرة الشكر والحمد . « الحمد لله » تعطينا المزيد من النعم مصداقاً لقوله
تعالى :

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي

[إبراهيم]

لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾

وهكذا نعرف أن الشكر على النعمة يعطينا مزيداً من النعمة . .
فنشكر عليها فتعطينا المزيد ، وهكذا يظل الحمد دائماً والنعمة دائمة .

إننا لو استعرضنا حياتنا كلها . . نجد أن كل حركة فيها تقتضى
الحمد ، عندما ننام ويأخذ الله سبحانه وتعالى أرواحنا ، ثم يردّها إلينا
عندما نستيقظ ، فإن هذا يوجب الحمد ، فالله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ
الَّتِي قَسَمْتَ عَلَيْهَا السَّوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢١)

وهكذا فإن مجرد أن تستيقظ من النوم ، ليرد الله علينا أرواحنا
يستوجب الحمد ، فإذا قمنا من الفراش قالله سبحانه وتعالى هو الذى
أعطانا القدرة على الحركة والنهوض ، ولولا عطاؤه ما استطعنا أن
نقوم ، وهذا يستوجب الحمد .

فإذا تناولنا إفطارنا ، قالله هو الذى هباً لنا من فضله هذا الطعام ،
فإذا نزلنا إلى الطريق يسر الله لنا ما ينقلنا إلى مقر أعمالنا ، وإذا تحدثنا
مع الناس قالله سبحانه وتعالى هو الذى أعطى ألسنتنا القدرة على
النطق بما وهبه الله لنا من قدرة على التعبير والبيان ، وهذا يستوجب
الحمد .

وإذا عدنا إلى بيوتنا ، فهو عز وجل الذى سخر لنا زوجاتنا ورزقنا
بأولادنا ، وهذا يستوجب الحمد .

إذن : فكل حركة حياة فى الدنيا من الإنسان تستوجب الحمد ،
ولهذا لا بد أن يكون الإنسان حامداً دائماً ، بل إن الإنسان يجب أن
يحمد الله على أى مكروه أصابه ؛ لأن الشئ الذى يعتبره شراً يكون
عين الخير ، قالله تعالى يقول :

الله

﴿... فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (١٩) ﴿

[النساء]

إن من البشر من إذا تحدث عنه قدر ما استطعت لن توفيه حقه وتعرف له قدره كأنبياؤه الله ورسله عليهم الصلاة والسلام ، فماذا إذا كان الحديث عن الله جل وعلا؟

سوف يتحدث المتحدثون عن الحق تبارك وتعالى حتى تقوم الساعة ، ومع ذلك فسوف يظلون في إطار قوله تعالى :

﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٧٤) ﴿ [الحج]

وقوله تعالى :

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٦٧) ﴿ [الزمر]